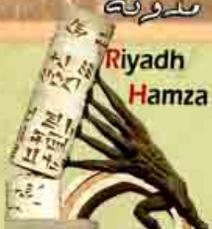


بدر شاكر السياب

أنشودة المطر



سرونية



Riyadh
Hamza

دار مكتبة الحياة

الطبع والنشر والتوزيع

أنشودة المطر



بدرشاكر اليباب

انشودة المطر

منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت

حقوق الطبع محفوظة
١٩٦٩
بيروت

مقدمة الناشر

لم تمض على وفاة الشاعر العبقري ، بدر شاكر السياب ، إلا سنوات قليلة ، والشعب العربي في العراق ما زال يذكره ، بل والشعب العربي في كل أرض العروبة ما زال يذكره ، ويذكر حياته التي وإن لم تمتد بها الأيام والسنون إلى أكثر من الشباب ، إلا أنها حفلت بتجارب وأحداث وكفاح وآلام وانفعالات ، قلما يمر بها إنسان في مثل هذا العمر القصير

تسعة وثلاثون عاماً قضاها الشاعر الثائر ، العربي الأصيل ، قبل أن يفارق تاركاً الأثر الذي لا ولن يُنسى في نفوس من عاصروه وعاشروه ، بل وفي كل من قرأ وسيقرأ له هذا الفيض من الشعر في دواوينه العديدة ، الشعر الذي لا يحتاج قارئاً بعد قراءته إلى السؤال عن شيء من تفاصيل حياة الشاعر العبقري الرائد فما هو إلا مرآة صادقة تعكس في دقة ووضوح حياة الشاعر كاملة التفاصيل ، بل وأكثر من ذلك تعكس الصورة الجليلة لمرحلة مر بها العراق ومعظم أقطار العروبة ، مرحلة التطور والثورة في سبيل الحرية والتحرير والحياة الأفضل

طفولة مرحلة جزلة قضاها بدر في جيكور ، القرية الهادئة الجميلة في جنوب العراق ولكن القدر ضنَّ بمرح الطفولة عليه فحرمه حنان الأم التي توفيت وهو صغير ، ثم حرمه حنان الأب الذي تزوج فشغل عن ولده ولقد كان لهذا الحرمان المبكر من الحنان والحب أثره في نفسٍ مرهفة سريعة التأثر عميقة الانفعال فظل بدر يبدو طيلة حياته باحثاً عن الحنوّ وعن

العطف ما يكاد يلمس أثراً منه في صديقة أو صديق حتى يسارع بالتشبث بصداقة أو بحب سرعان ما تصطدم عواطفه المرهفة بعدم صدقه وجديته .. ثم دراسة في القرية ، يتبعها انتقال لاستكمال مراحلها النهائية في دار المعلمين العالية في بغداد وشعور بالغرابة والضياع في هذه المدينة الحافلة التي تختلف كبير الاختلاف عن محيط القرية وحياة الريف واطّلاع عن كذب على الحياة الجديدة في المدينة العاصمة على الطبقة المروعة التي كانت تجثم على أنفاس المجتمع آنذاك ، قلة مترفة ترفل في حلال الغِنَى ، وتمارس في بطر وفجور حياة السيادة على كثرة 'حُرِمَت' من الحياة الكريمة حتى لتكاد تحرم من أبسط أسباب الحياة !.. الصيف والشتاء في مجتمع واحد !.. الثراء والترف والنعيم والشَّبَع حتى التخمة للقلة والفقير والدُّوس والحرمان والجوع حتى الموت للكثرة

وما كان للشباب الثائر الجياش العاطفة إزاء ما رآه ولمسه إلا أن ينضم إلى قافلة المعذبين اللائذين باليسار كمن بدأ يتوسمون فيه القدرة على الانقضاء وإلا أن ينطلق معبراً بالشعر عن عواطف المحرومين مشاركاً الجماهير تظاهراتهم وهتافهم ، ليلقى بدهسها من حكم القلة الاقطاعية المتشبثة بسلطانها جزاء المتمردين المعارضين الاعتقال والاضطهاد والسجن ، ثم المراقبة الخائفة بعد إطلاق سراحه ، ثم التعرُّض لسلاح الظلم ، سلاح الفصل من الوظيفة والحرمان من أسباب الرزق الذي ما زاد الشاب الثائر إلا إصراراً على المناداة بالاصلاح والإيمان بسبيله الثورة تهدم قصور الظلم وتجتث أصول الطغاة الظالمين

وضاقت به بلاده بعد أن ضاقت سبل الحياة ، وأوغل الحسكام في إيذائه والتنكيل به ، ففارقها إلى الغُربة ليحس بذلّ الغريب وانكسار نفسه ووحشة روحه ، والغرابة الاضطرارية مع ضيق ذات اليد أقسى على النفس الحساسة الأبيّة من الاضطهاد والسجن والعذاب على أرض الوطن فعاد

عاد إلى التشرّد إلى الفقر إلى الحرمان الذي ألجأه إلى هجرة ثانية إلى الكويت « غريباً على الخليج » يناجي بلده الحبيب ويرنو إليه بفكره وروحه ، ويداعبه الأمل في العود السريع ، ولكن أنى له العود والإملاق يأخذ بناصيته ؟.

لم يضعف إيمان بدر ولم تتزعزع مبادئه رغم كل ما لاقاه من حرمان وتنكيل وتشريد بل ظل الثائر العنيف يهاجم الطغاة ، ويبعد اليأس عن النفوس ، ويبشر المحرومين المعذبين العطشى بقرب بزوغ الفجر ونزول الغيث فالطر في شعره هو الثورة وأنشودة المطر هي أنشودة قافلة الأحرار المتطلعين إلى الإصلاح

ويجيء المطر بعد طول الانتظار ، وتشرق ثورة الرابع عشر من تموز ، وينطلق الشاعر معبراً عن بهجته ، فقد تحقّق الأمل الذي طالما تمناه ، بهجة لم يقدر لها أن تطول ، فقد انحرفت الثورة ، وقفز إلى سفينة الإصلاح طغاة جدد ، يسترخصون إراقة الدماء ، ويرتكبون من الجرائم ما تقشعر له الأبدان

ما من أجل استبدال ظلم بظلم ضحى الشاعر ، ولا من أجل القتل والسحل واهدار الكرامات والحرّات طالب بالثورة وحدث ما كان لا بد أن يحدث ، عارض بدر الانحراف فأمسى ضحية الثورة كما كان من قبل ضحية من قامت الثورة في وجهه !.. يلاقي من الاضطهاد والمطاردة والنكران مثل ما لاقاه من قبل إن لم يزد !..

ولم يكنف القدر بهذا القدر من الملاء يصنّه على هذه النفس الثائرة المرهفة الإحساس ، بل أصابه بما يتضاءل معه كل ما مر من محن وعذاب ، بالشلل يتسلل الى جسمه عضواً فعضواً ، يعجزه عن كل حركة وإن لم يصل الى الذهن يعجزه عن التفكير أو القرينة يوقفها عن الجود بكل بديع معبر من الشعر

ولم يُجدِ علاج لهذا المرض الوبيل ، بل للمحنة التي طالت وزادها ظلمة تخلي الأصدقاء والمريدين ومن بلدٍ إلى بلدٍ طلباً للعلاج وسعيّاً وراء سراب الشفاء سافر السياب ليعود أخيراً إلى البصرة ، ثم إلى الكويت ، ليبتسم له القدر !.. لا بالشفاء ، ولا بالعيش الرغيد بل بأن يسوق إليه من يحنو عليه ويقدر عبقريته ويساعده في طبع ديوان له

ويشعر الشاعر بدنو ساعة الفراق - فراق أطفاله وهو الذي حرم في طفولته حنان الوالدين - فيذكرهم مشفقاً على حالهم من بعده في قصيدة هي الحنان واللوعة مذابة في كلمات وبين ألم المرض وألم توقع الفراق وألم الذكريات يقضي الشاعر الإنسان في الكويت ، لينقل جثمانه الى البصرة .. ويبقى شعره يملأ الدواوين ويحيي ذكراه ويمثل الثورة الحديثة التي صارت اتجاهها أدبياً جديداً في الشعر له نقاده ومتبعوه ، كما يمثل آمالاً لهذا الجيل من أمة العرب المتطلع الى حياة أفضل ، تظلمها الحرية والعدالة والسيادة

إلى هذا الجيل العربي ، تقدم « دار مكتبة الحياة » ، أنشودة بدر شاكر السياب ، « أنشودة المطر » . كما تقدم بعون الله كل دواوينه الحافلة الغنية بالقيم الانسانية ، في طبعات جديدة حديثة .. والله الموفق

الناشر

غريبٌ على الخليج

الريح تلهث بالهجرة ، كالجنام ، على الأصيل-
وعلى القلوع تظل تطوى أو تُنشرُ للرحيل
زحم الخليجَ بهنّ مكتدحون جواًو بحار-
من كلِّ حافٍ نصف عاري

وعلى الرمال ، على الخليج
جلس الغريبُ ، يسرِّح البصر الحير في الخليج
ويهدُّ أعمدة الضياء بما يصعد من نشيج-
« أعلى من العباب يهدر رغوهُ ومن الضجيج-
صوتٌ تفجّر في قرارة نفسي الشكلي عراق ،
كالدُّ يصعد ، كالسحابة ، كالدموع الى العيون .
ألريح تصرخ بي عراق ،

والموج يُعول بي : عراق ، عراق ، ليس سوى عراق !
ألبحر أوسع ما يكون وأنت أبعد ما تكون
والبحر دونك يا عراق
بالأمس حين مررتُ بالمقهى ، سمعتك يا عراقُ

وكنتَ دورةَ أسطوانه
هي دورة الأفلاك من عُمرِي ، تكوّر لي زمانه
في لحظتين من الزمان ، وان تكن فقدت مكانه .
هي وجه أُمي في الظلام-
وصوتُها ، يتزلّقان مع الرؤى حتى أنام ؛
وهي النخيل أخاف منه إذا ادلممّ مع الغروب
فاكتظّ بالأشباح تخطفُ كلَّ طفلٍ لا يؤوبُ
من الدروب ؛
وهي المفليّة العجوز وما توشوش عن « حزام »^١
وكيف شقّ القبر عنه أمام « عفراء » الجميله
فاحتازها إلا جديله .
زهراء ، أنت أتذكرين
تنوّرنا الوهاج ترجمه أكف المصطلين ؟
وحديث عمّي الخفيضَ عن الملوك الغابرين ؟
ووراء بابِ كالقضاء
قد أوصدته على النساء
أيديّ تطاع بما تشاء ، لأنها أيدي رجال -
كان الرجال يعربدون ويسمرون بلا كلال .

(١) هكذا أصبح اسم الشاعر العاشق عروة بن الحزام عند العامة الذين يروون قصة حبه لعفراء وموته ويرددون معاني قصيدته ، بشعر عامي .

أفتذكرين؟ أتذكرين؟

سعداء كنا قانعين

بذلك القصص الحزين لأنه قصص النساء
حشدٌ من الحيوات والأزمان ، كنا عُنفُوانه ،

كنا مداريه اللذين بينها كيانه

أفليس ذلك سوى هباء؟

حلمٌ ودورة اسطوانه؟

إن كان هذا كل ما يبقى فأين هو العزاء؟

أحببتُ فيك عراقَ رُوحِي أو حبيبتُك أنتِ فيه؛

يا أنتما ، مصباح رُوحِي أنتما - وأتى المساء

والليل أطبق ، فلتشعاً في دجاء فلا أتيه

لو جئتُ في البلد الغريب إليّ ما كمل اللقاء !

ألملتقى بك والعراقُ على يديّ هو اللقاء !

شوق يخضُّ دمي إليه ، كأنّ كلّ دمي اشتها ،

جوع إليه .. كجوع كلّ دم الغريق الى الهواء

شوق الجنين إذا اشربَّ من الظلام الى الولاده !

إني لأعجب كيف يمكن أن يخون الخائنون !

أيخون إنسانٌ بلاده؟

إن خان معنى أن يكون ، فكيف يمكن أن يكون؟

ألشمس أجمل في بلادي من سواها ، والظلامُ

- حتى الظلام - هناك أجملُ ، فهو يحتضن العراق .
 واحسرتاه ، متى أنامُ
 فأحسُّ أن على الوساده
 من ليلك الصيفي طلاً فيه عطرُك يا عراق ؟
 بين القرى المتهيّبات خطاي والمدن الغريبه
 غنّيتُ تُرتبتك الحبيبه ،
 وحملتُها فانا المسيحُ يجرُّ في المنفى صليبه ،
 فسمعتُ وقع خطى الجياع تسيرُ ، تدمى من عُثار
 فتذرُّ في عينيَّ ، منك ومن مناسمها ، عُبار
 ما زلتُ أضرب ، مُترِب القدمين أشعثَ ، في الدروب
 تحت الشمس الأجنبيّه ،
 متخافق الأطهار ، أبسط بالسؤال يداً نديّه
 صفراءَ من ذلٍّ وُحمى : ذلٌّ شحاذٍ غريب
 بين العيون الأجنبيّه ،
 بين احتقارٍ ، وانتهارٍ ، وازورارٍ أو « خطيّه » ،
 والموت أهون من « خطيه » ،
 من ذلك الإشفاق تعصره العيونُ الأجنبيّه
 قطرات ماءٍ .. معدنيّه !
 فلتنظفي ، يا أنتِ ، يا قطراتُ ، يا دمُ ، يا تقودُ ،

(١) كلمة اشفاق في اللهجة العراقية (والكويتية) الدارجة

يا ربح ، يا إبراً تخيط لي الشراع - متى أعودُ
إلى العراق؟ متى أعودُ؟
يا لمعةَ الأمواج- رنّهنّ مجذافُ يروُدُ
بي الخليج ، ويا كواكبه الكبيرةَ يا نقودُ!

ليتَ السفائنَ لا تُقاضي راكبيها عن سفار-
أو ليت أنّ الأرضَ كالأفق العريض- ، بلا بحار!
ما زلتُ أحسبُ يا نقود ، أعدّكنّ وأستزيد ،
ما زلتُ أتقيصُ ، يا نقود ، بكنّ من مُدَد- اغترابي ،
ما زلتُ أوقد بالتماعتكنّ نافذتي وبابي
في الضفّة الأخرى هناك فحدثيني يا نقودُ
متى أعود؟ متى أعودُ؟

أتراه يأزف ، قبل موتي ، ذلك اليوم السعيدُ؟
سأفيقُ في ذاك الصباح ، وفي السماء من السحاب-
كيسرُ ، وفي النسمات برُدُ مُشبع بعطور آب- ؛
وأزيح بالشوّباءُ بقيا من نعاسي كاللحجاب-
من الحرير ، يشفُ عما لا يبينُ وما يبينُ
عما نسيتُ وكدتُ لا أنسى ، وشكّ في يقين .
ويضيءُ لي - وأنا أمدُّ يدي لألبس من ثيابي -
ما كنتُ أبحثُ عنه في عتَمات نفسي من جواب

لَمْ يَمَلَا الفرحُ الخفيُّ شعابَ نفسي كالضباب؟
أليومَ - واندفقَ السرورُ عليَّ يفجأني - أعودُ!

واحسرتاه.. فلن أعودَ إلى العراق!

وهل يعودُ

من كان تُعوزُهُ النقودُ؟ وكيف تُدخِرُ النقودُ
وأنت تأكل أذ تجوع؟ وأنت تُتنفقُ ما يوجدُ
به الكرام ، عليّ للطعام؟

لتبكينَّ عليّ العراق..

فما لديك سوى الدموع

وسوى انتظارك ، دون جدوى ، للرياح وللقلوع!

الكويت ١٩٥٤

مرحى غيلان

– « بابا ... بابا »

ينساب صوتك في الظلام ، إليّ ، كالمطر الغضير ،
ينساب من خلل النعاس وأنت ترقد في السرير -
من أيّ رؤيا جاء ؟ أيّ سماءٍ ؟ أيّ انطلاقٍ ؟
... وأظّل أسبح في رشاشٍ منه ، أسبح في عبير .
فكان أودية العراق -

فتحت نوافذ من رواق على سهادي كل واد -
وهبته عشتار الأزاهر والثمار كأنّ روحي
في تربة الظلماء حبة حنطة وصداء ماء
أعلنت بعثي يا سماء
هذا خلودي في الحياة تكن معناه الدماء

« بابا » كان يد المسيح
فيها ، كان جماجم الموتى تبرعم في الضريح -
تموز عاد بكل سنبله تُعابت كل ريج -

« بابا ... بابا »

أنا في قرار بُويَّب^١ أرقد ، في فراشٍ من رماله ،
من طينه المعطور ، والدمُ من عروقي في زلاله
ينثال كي يهبَ الحياة لكل أعراق النخيل .
أنا بَعْلُ أخطر في الجليل .
على المياه ، أنتُ في الورقات روجي والثمار .
والماء يهمس بالخرير ، يصلُ حولي بالمحار
وأنا بُويَّبُ أذوب في فرحي وأرقد في قراري .

« بابا بابا ... »

يا سُلمَ الأنغام ، أَيْتُ رغبةٍ هي في قرارِك ؟
« سيزيف » يرفعها فتسقط للحضيض مع انهيارِك
يا سُلمَ الدم والزمان من المياه الى السماء
غيلانُ يصعد فيه نحوي ، من تراب أبي وجدي
ويداه تلتسان ، ثمَّ ، يدي وتحتضان خدي
فأرى ابتدائي في انتهاي .

« بابا ... بابا »

جيكور^٢ من شفتيكَ تولد ، من دمايكَ ، في دمائي
فُتحيل أعمدة المدينة

(١) بويب نهر في قرية الشاعر

(٢) جيكور قرية الشاعر في جنوب العراق .

أشجار توتٍ في الربيع . ومن شوارعها الحزينه
تتفجّرُ الأنهار ، أسمع من شوارعها الحزينه
وَرَقَ البراعم وهو يكبر أو يمضُ ندى الصباحـ
والنُشغَ في الشجرات يهمس ، والسنابلَ في الرياح
تَعِيدُ الرَّحَى بطعامهنَّ
كانَّ أوردةَ السماءـ

تتنفّسُ الدم في عروقي والكواكب في دمائي .
يا ظلّي الممتدَّ حين أموت ، يا ميلاد عمري من جديدـ
الأرضُ (يا قفصاً من الدم والأظافر والحديدـ
حيث المسيح يظلُّ ليس يموت أو يحيا كظلِّ ،
كيدٍ بلا عَصَبٍ ، كهيكَل ميسرٍ ، كضُحى الجليد ،
النور والظلماءُ فيه متاهتان بلا حدودـ)
عشتار فيها ذون بَعْلـ
والموت يركض في شوارعها ويهتف يا نيامُ
هَبّوا ، فقد وُلِدَ الظلامُ^١
وأنا المسيح ، أنا السلامُ
والنار تصرخ يا ورود تفتّحي ، وُلِدَ الربيعُ
وأنا الفُرات ؛ ويا شموعُ

(١) كان كهنة ايزيس ينطلقون ، في منتصف ليلة ١٢/٢٥ من كل عام ، ماتفين
في شوارع الاسكندرية لقد وضعت العذراء حملها وقد ولدت الشمس

رشي ضريح البعل بالدم والهباب وبالشحوب
والشمس تُعَوَّل في الدروب
بردانة أنا والسماء تنوء بالسُّحُب الجليد.

« بابا بابا »

من أي شمس جاء دفنوك أي نجم في السماء ؟
ينسل للقمص الحديد ، فيمرق الغد في دمتي ؟



11

أغنية في شرب

تموز يموت على الأفق-
وتغور دماه مع الشفق-
في الكهف المعتم والظلماء-
تقالة إسعافٍ سوداءُ
وكان الليل قطيع نساءُ
كحلُّ وعباءاتُ سودُ
أليل خباءُ
أليل نهار مسدودُ

ناديت مربية الأطفال الزنجية
أليل أتى يا مرجانه
فأضيئي النور وماذا ؟ إني جوعانه .
و .. نسيت .. أما من أغنيته ؟
بم يهذر هذا المذيع ؟

في لندن ، موسيقى جاز ، يا مرجانه ،
فاليها إني فرحانه
والجاز من الدم إيقاع

تموز يموت ومرجانه
كالغابة تربض بردانه

وتقول ، ويخذلها النَّفْسُ
« أليل ، الخنزيرُ الشرسُ ،
أليل شقاء ! »

مرجانه هل قرع الجرسُ
فتقول ، ويخذلها النَّفْسُ
« في الباب نساء »
وتعد القهوة مرجانه

وعلى الأكتاف البيض فراءُ
ألذئب يدثر إنسانه ،
وعلى الأتداء من التمر
شرق يتسلل ، ملء الغياب ، من الشجر
والليل يطول مع السمر

الليل كتنور - من أشباح البشر -
خبزٌ يتنشق نيرانه
والضيقة تأكل جوعانه
من هذا الزاد ومرجانه
كالغابة تربض بردانه

والضيقة تضحك وهي تقول * خطيب سعادته
جافاها ، وانطوت الخطبه !
ألكتب تنكّر للكلبه *
تموز يموت بدون معاد ،
والبرد ينت من القمر -
فتلوذ بمدفأة من أعراض البشر
والليل يطفئ شطآنه
والضيقة تقبع بردانه
وفراء الذئب تغطيها
وتطفات النيران اللاتي كاتت بالدم تذكيها

ليلٌ وجليد
يتساقط عبرها صوتٌ ، رنات حديد
وعواء ذئاب يخفيها

أصوت بعيد
والضيقة مثلي بردانه .

فتعال وشاركني بردي
بالله تعالُ

يا زوجي ، ها إني وحدي
- والضيقة مثلي بردانه -

فتعال تعالُ

فأمامك وحدك أقدر أن أعتاب الناس بلا استثناء
بالله تعالُ

فالناس كثيرٌ والظلماءُ

نقالة موتى سائقها أعمى ، وفؤادك جيلانك في يدك

لعلك من خلفي رطلال

عذابي وسيفك قفيعهال

ليطعم سميتك



غارسيانوركا

في قلبه تنور
النار فيه تطعم الجياع
والماء من جحيمه يفور :
طوفانه يطهر الأرض من الشرور
ومقتلاه تنسجان من لظى شراع
تجمعان من مغازل المطر
خيوطه ، ومن عيون تقطع الشرور
ومن ثدي الامهات ساعة الرضاع
ومن مدى تسبل منها لذة الثمر
ومن مدى للقابلات تقطع السرر
ومن مدى الغزاة وهي تمضغ الشعاع
شراعه الندي كالقمر
شراعه القوي كالحجر
شراعه السريع مثل لحة البصر

شراعه الأخضر كالربيع
الأحمر الخضيب من نجيع
كانه زورق طفل مزق الكتاب
يملاً مما فيه ، بالزوارق النهر ،
كانه شراع كولبس في العباب
كانه القدر



تقسيم

ليس

حين يندر النور
- يلقي به التنور -
عن وجهك الظلماء
ويهمس الديجور
آهاته السمراء
على محيالك

رأى

تهجس عينك
بكلّ حزن الدهور
وكلّ أعيادها :
أفراح ميلادها
وغمغيات النور
وزهرها والجنور !

وورد

شك

النور والظلماء
أسطورة منحوتة في الصخور

كم ذادَ بالنّارِ ،
من أسدٍ ضاري
وكم أخاف النّفور ،
إنسان تلك العصور
بالنّور والنّارِ !
فاطفئي مصباحنا أطفئيه
ولنطفئ التّنورُ
وندفن الحبز فيه ،
كي لا تعيد الصخورُ
أسطورة للنار ، ظلّت تدور
حتى غدا أول ما فيها
آخر ما فينا - وليل القبور
أول ما فيها -
ولنسبق في الديجور
كي لا ترانا نمور
تجوس في الظلماء
لترجم الأحياء
- من غابة في السماء -
بالصخر والنار
وتستبيح القبور !

المخبر

أنا ما تشاء أنا الحقير
صباغ أحذية الغزاة ، وبائع الدم والضمير
للظالمين . أنا الغراب
يقتات من جثث الفراخ . أنا الدمار ، أنا الخراب !
شفة البغيّ أعفّ من قلبي ، وأجنحة الذباب
أتقى وأدفا من يديّ كما تشاء ... أنا الحقير !
لكنّ لي من مقلتيّ - إذا تتبّعنا خطاك
وتقرّتا قسما وجهك وارتعاشك - إبرتين -
ستنسجان لك الشرك
وحواشي الكفن الملطّخ بالدماء ، وجمرتين -
تروّعان رؤاك إن لم تحرقاك !
وتحول دونها ودونك بين كفيّ الجريده
فتندّ آهتك المديده
وتقول : « أصبح لا يراني » بيد أن دمي يراك
إني أحسّك في الهواء وفي عيون القارئين

لَمْ يقرأون لأنّ تونسَ تستفيق على النضال؟
ولأنّ ثوار الجزائر ينسجون من الرمالُ
ومن العواصف والسيول ومن لهاث الجائعين
كفنَ الطغاة؟ وما تزال قذائف المتطوعين
يصفرن في غسق القنال؟
لَمْ يقرأون وينظرون إليّ حيناً بعد حين
كالشامتين؟

سيعلمون من الذي هو في ضلالُ
ولأيننا صداً القيود... لأيننا صداً القيود
لأيننا -

نهض الحقيير

وسأقتفيه فما يفرّ ، سأقتفيه الى السعير
أنا ما تشاء أنا اللئيم ، أنا الغيبيّ ، أنا الحقود
لكنّما أنا ما أريد أنا القويّ ، أنا القدير
أنا حامل الاغلال في نفسي ، أقيّد من أشياء
بمثلهنّ من الحديد ، واستبيح من الحدود
ومن الجباه أعزهنّ . أنا المصير ، أنا القضاء
ألحقدُ كالتنور فيّ إذا تلهّب بالوقود
- الحبر والقرطاس - أطفأ في وجوه الامّهاتُ
تنورهنّ ، وأوقف الدم عن ثديّ المرضعات

في البدء كان يطيف بي شبحٌ يقال له الضمير
أنا منه مثل اللصّ يسمع وقع أقدام الخفير
شبحٌ تنفّس ثمّ مات
واللصّ عاد هو الخفير
في البدء لم أكُ في الصراع سوى أجير
كالبائعات حليبهنّ ، كما تؤجّر - للبكاء
ولندب موتى غير موتاهنّ - في الهند النساء .
قد أمعنَ الباكي على مفضّء ، فعاد هو البكاء !

الخوف والدمُ والصّغار فأي شيء أرتجيه ؟
فعلى يديّ دمٌ وفي أذنيّ وهوهة الدماء
وبمقلتيّ دمٌ ، وللدّم في فمي طعمٌ كريبه !
أثقلُ ضميرك بالآثام فلا يحاسبك الضمير
وانسَ الجريمة بالجريمة والضحية بالضحايا
لا تمسح الدم عن يديك فلا تراه وتستطير
لفرط رعبك أو لفرط أساك واحتضن الخطايا
بأشدّ ما وسع احتضانٌ تنجُ من وخز الخطايا

قوتي وقوتُ بنيّ لحمٌ آدميّ أو عظام
فليحقدنّ عليّ ، كاللحم المستعرّة ، الأنام
كي لا يكونوا إخوةً لي آنذاك ، ولا أكون

وريث قايل اللعين - سيسألون
عن القتل فلا أقول
« أنا الموكّل ، ويلكم بأخي ؟ » فإن المخبرين
بالآخرين موكّلون !

سحقاً لهذا الكون أجمع وليحلّ به الدمارُ !
مالي وما للناس ؟ لست أباً لكل الجائعين
وأريد أن أروى وأشبع من طوى كالأخرين
فليزّلوا بي ما استطاعوا من سبابٍ واحتقار
لي حفنة القمح التي بيدي ودانية السنين
- خمسٌ وأكثرٌ أو أقلٌ - هي الربيع من الحياة
فليحلموا هم بالغد الموهوم يبعث في الفلاة
روحَ الناء ، وبالبيادر وانتصار الكادحين !
فليحلموا إن كانت الأحلام تُشبع من مجوع .
إنّي سأحيا لا رجاء ولا اشتياق ولا نزوع ،
لا شيء غير الرعب والقلق المضّ على المصير
ساء المصير !
ربّاه ، إن الموت أهون من ترقبهِ المرير
ساء المصير
لمَ كنت أحقر ما يكون عليه انسانٌ حقيرٌ ؟ !

عرس في القرية

مثما تنفض الريحُ ذرّاً: النُضارُ
عن جناح الفراشة ، مات النهار
النهار الطويلُ
فاحصدوا يا رفاقي ، فلم يبق إلاّ القليل
كان نقرُ الدّرابكِ منذ الأصيلِ
يتساقط ، مثلَ الثّار ،
من رياح تهوّم بين النخيلِ
يتساقط مثل الدموع
أو كمثل الشرار :
إنها ليلة العرس بعد انتظار
مات حبٌ قديمٌ ، ومات النهار
مثما تُطفئُ الريحُ ضوءَ الشموعِ
الشموع ... الشموع ،
مثل حقل من القمح عند المساء ،
من ثغور العذارى تعبُ الهواءِ ،

حين يرقصن حول العروس
منشدات: «نوار، اهنتي يا نوار!
حلوة أنتِ مثل الندى، يا عروس»
يا رفاقي، سترنو إلينا نوار
من علٍ في احتقار .
زهدتها بنا حفنة من نضار:
خاتمٌ أو سوار ، وقصرٌ مشيدٌ
من عظام العبيد
وهي ، يا ربُّ ، من هؤلاء العبيد !
ولو أنا وآباءنا الأولين
قد كدحنا طوال السنين
وإدخرننا - على جوع أطفالنا الجائعين -
ما اكتسبناه في كدنا من تقود ،
ما اشترينا لها خاتمًا أو سوار !
خاتمٌ ضمٌّ في ماسه الأزرق -
من رفات الضحايا مئات اللهود
اشتراها به الصيرفيُّ الشقي ..
مثلما تنثر الريح عند الاصيل
زهرة الجلنار -
أقفر الريف لما تولت نوار -

بالصبابات ، يا حاملاتِ الجرارِ
رحن واسالنّها « يا نوار
هل تصيرين للأجنبيّ البخيل؟
للذي لا تكادين أن تعرفيه؟
يا ابنة الريف ، لم تنصفيه!
كم فتىً من بنيه
كان أولى بأن تعشقيه؟
إنهم يعرفونك منذ الصغر
مثلاً يعرفون القمر
مثلاً يعرفون حفيف النخيل
وضفاف النهر
والمطر
والهوى ، يا نوار ... »
احصدوا يا رفاقي ، فإن المغيب
طاف بين الروابي يرش الذهب
من أباريق مجبولة من نضار
والزغاريد تصدي كل دلة
أوقد القصر أضواءه الأربعين
فاتبعوني إليها مع الرائحين .
اتركوني أغني امام العريس

وأراقص ظلي كقرد سجين
وأمثل دور المحب التعيس
ضاحكاً من جراحات قلبي الحزين ،
من هواي المضاع ،
من قلوب الجياع
حين تهوى ، ومن ذلة الكادحين
سوف آكلُ حتى ينزَّ الدمُ
من عيوني فما زال عندي فمُ
كل ما عندنا نحن ، هذا الفم !
كان وهماً هواناً ، فان القلوب
والصبايات وقفُ على الاغنياء !
لا عتابُ فلو لم نكن اغبياء
ما رضينا بهذا ، ونحن الشعوب



مرثية الألهة

بلينا وما تبلى النجوم الطوالع^١
ويبقى اليتامى بعدنا والمصانع
ويبقى «كرب^٢» الجالب الكرب: كالصدي
يغصّ النادي بالردى، وهو راجع^٣
كأبّ الأميبي^٣ توأم^٣ وهو توأم^٣
لها، فهو في منجى من الموت قابع^٣
ولكنه الفرد الذي يزحف الورى
الى حيث ترمي مقلتيه المطامع
أعنقاء^٣ من صحراء نجد^٣ تقحمت^٣
بها مغرب الشمس البعيد الزعازع^٣
أم انسل^٣ من أهرام فرعون هاجع^٣
وقته انتقاص^٣ الدود منه، المباح^٣؟
ومن ليس يحيا لن يرى وهو هالك^٣
فلو كان يحيا ما عدته الفواجع

(١) لم توضع الأبيات المضمنة بين أقواس ، وإنما اكتفي بالإشارة إليها
(٢) كرب Krupp صاحب معامل الاسلحة الالمانية الشهيرة .
(٣) الاميبي حيوان ذو حجيرة واحدة، وهو خالد لا يموت لانعدام شخصيته .

وما كان إلا اسماً « كربُّ » ابن مثله
به يُدمغ اثنانِ الورى والبضائعُ
ولكنه اممٌ بالأساميِّ يفتذي
تهجَّاهُ زقار اللطى والمدافعُ
تمنيت أني آلهُ لا يُصيبها
كلالٌ ولا وقتٌ بها مر ضائعُ
لها من دماء الناس قوتٌ وخلفها
من المال عن أن ينفد القوت مانعُ
وما تخطيء الآلات في الجمع تارةً
وفي الطرح ، إن يخطيء من الناس جامعُ
ولا عاقبتها عصبهٌ من وراءها
علينا عقابٌ برئوا منه ، واقعُ
ألا كم رفعنا من إلهٍ وكم هوى
إلهٌ وأضحى ثالث وهو رابعُ
فما جاوزتنا صورةً منه خطها
على غفلةٍ متاً مجيعٌ وجائعُ
وما كان معبوداً سوى ما نخافه
ونرجوه أو ما خيلته الطبائعُ
فتموز مثل اللاتِ ، والرعد ما رمى
بغير الذي تطوى عليه الأضالعُ

وكم أله التمر التهامي معشر^١
 لما ليس يحيا دونه للناس راع^٢
 فلما شكا بعد الأثافي^٣ قدرها
 وضنت على الشدق الحفي^٤ المراضع^٥
 كفى كل ثغرى^٦ كان يدعوه جوعه
 إله^٧ أحاطته المدى والأصابع
 دمي هذه الخمر التي تشربونها
 ولحمي هو الخبز الذي نال جائع
 ولما تشظى^٨ قلب نرسي^٩س وانثى
 يلم^{١٠} الشظايا منه شار^{١١} وبائع^{١٢}
 وغذى بها القلب الذي حين ذاقها
 نما فيه نابا^{١٣} كوسج^{١٤} فهو قاطع^{١٥}
 دوى كل^{١٦} عال^{١٧} من إله^{١٨} وسافل^{١٩}
 الى حيث ما من راحل^{٢٠} ثم^{٢١} راجع^{٢٢}
 وأفضى الى العرش السديمي^{٢٣} مغد^{٢٤}
 بما امتاح من أحداق^{٢٥} «ميدوز»^{٢٦} لامع^{٢٧}
 هو الشمس الأ^{٢٨} أن^{٢٩} في زمهريره
 من الموت ظللا^{٣٠} حجبت^{٣١}ه البراقع^{٣٢}
 جزى أمه الأرض التي من عروقتها
 ربا واغتدى في جوفها وهو هاجع^{٣٣}

(١) ميدوز مولة في ساطير الاغريق تحيل من تلتقي عينه بعينها الى صخر.

بشر الذي يُجزي به شر من غذا
 وأروى ، ويجزاه العدو المنازع
 فادمى بنيتها وارتعى من بناتها
 حقولاً ترجى ، فهي شوهٌ بلاقع
 كقاييل يعتال الأشقاء ، راكلُ
 - كؤديب - للحبز الإلهي صافِع
 وهذا الإله الأملس الفظّ ما جلا
 لنرسيس يجثو عنده وهو خاشع
 سوى وجه نرسيس الرخامي ، شابه
 شحوبٌ يهوديُّ التلاوين ناقع
 وأوفى من الأرباب جيل يئمّه
 على قمة الأولب ربُّ مخادع
 ترى « فحم » إذ يلقاه يلقاه راجفاً
 و« فولاذ » من تلماح عينيه مائعُ
 ويا عهد كناً كبن حلاجٍ واحداً
 مع الله إن ضاع الورى فهو ضائع
 أكلّ الرّجال الجوف أب يملأوا به
 خواء الحشا هذا الإله المضارع
 فعادَ الفقير الرّوح من ليس كاسياً
 به ظاهراً منّا فحلّ التنازعُ

(١) جرّدت من الفحم والفولاذ شخصين لإلهين من الأرباب الجدد ، أتباع
 زيوس الجديد - الذهب - وعاملتها كاسمي علم ، ومنعتها من الصرف

مِنْ رُؤْيَا فوكايي

[فوكاي ، كاتب في البعثة اليسوعية في هيروشيا ، مُجن
من هول ما شاهده غداة ضربت بالقنبلة الذرية]

١ - هياي .. كونغاي ، كونغاي'

ما زال ناقوس أبيك يُتَلَقُّ المساءُ

بأفجع الرثاء

« هياي .. كونغاي ، كونغاي » ،

فيفزع الصغارُ في الدروبُ

وتخفق القلوب

وتغلق الدُّور بيكّين وشنغهايُ

من رَجَع كونغاي ، كونغاي !.

(١) تحدثنا إحدى الاساطير الصينية عن ملك اراد ناقوساً ضخماً يصنع من الذهب ، والحديد ، والفضة ، والنحاس . وكلف أحد الحكام بصنعه . ولكن المعادن المختلفة أبت ان تتحد واستشارت كونغاي - وهي ابنة ذلك الحاكم - المرافين بالأمر فأنبأوها بأن المعادن لن تتحد ما لم تتزوج بدماء فتاة عذراء .. وهكذا ألقت كونغاي بنفسها في القدر الضخمة التي تصهر فيها المعادن .. فكان الناقوس .. وظل صدى كونغاي يتردد منه كلما دق :
« هياي .. كونغاي ، كونغاي » .

فلتُحرقِي وطفلكِ الوليدُ ،
 ليجمع الحديد بالحديد
 والفحم والنحاس بالنضابِ
 والعالم القديم بالحديد
 آلهة الحديد والنحاس والدّمار ،
 أبوك رائدُ المحيطِ ، نامَ في القرار
 من مقلتيه لؤلؤً يبيعه التجار^١
 وحظكِ الدّموع والمحار
 وعاصف عاتٍ من الرصاص والحديد
 وذلك المجلجلُ المرنُّ من بعيد
 لمن ، لمن يدقُّ « كونغاي ، كونغاي » ؟
 أمّ بالرحيلِ في « غرناطة » العجْرُ ؟
 فاخضرت الرياحُ ، والغديرُ ، والقمرُ ؟^٢
 أم سمّر المسيحُ بالصليب فانتصر
 وأنبئتُ دماؤه الورود في الصخرُ ؟

(١) شكبير - العاصفة أغنية « أبريل » - روح الهواء الذي سخره
 « بروسيرو » الساحر - لفرديناند « على عمق اذرعة خمس ينام ابوك في
 قرارة البحر ، لقد أصبحت عيناه لؤلؤتين اسمع ها هو الناقوس يشعاه »
 وقد اتخذته ت. س. إلبوت في قصيدته الكبرى « الأرض الخراب » رمزاً
 عن « الحياة من خلال الموت » ولكن لاحظ كيف حولت « ببيمه
 التجار » المعنى !

(٢) هذا البيت مقتبس من قصيدة الشاعر الاسباني القليل لوركا ، شاعر
 العجْر

أم أنها دماءٌ كونغاي؟
ورغم أن العالمَ استسرَّ واندثرُ،
ما زال طائرُ الحديدِ يذرعُ السماءَ ،
وفي قرارةِ المحيطِ يعقدُ الكرى
أهدابَ طفلكِ اليتيم - حيثُ لا غناءُ
إلاَّ صراخُ « البايون » « زادكُ الثرى ،
فازحفُ على الأربعِ فالحضيضِ والعلاءِ
سيَّانَ ، والحياةُ كالفناء ! »
سيَّانِ « جنكيزُ » ، و « كونغايُ »
هابيلُ قايلُ ، وبابلُ كشنغهايُ ،
وليستِ الفضةُ كالحديدِ !
هياي كونغاي ، كونغاي !
الصين حقلُ شايُ ،
وسوقُ شنغهاي

(١) هذا البيت والابيات الستة التي تليه - تكاد تكون حرفية - عن
الشاعرة الانكليزية ايديث ستويل من قصيدتها الرائعة ترفيمة السرير
Lullaby حيث تجلس البايون - القردة - في قاع المحيط تهزُّ مهد طفل
بشري - قتل « طائر الحديد » أمه - وتغني له مصبحة بهذا - وهي القردة -
أما للطفل البشري ومعلمة له ايضاً .

وللاحظ قراء قصيدتي هذه ان هناك شخصاً ثلاثة تترابط في ذهني :
الصيد الياباني - او الصيني - الغريق الذي اخاطب ابنته ، و« فوردناند »
- الذي زعم اربل انه غرق - ، والقردة « البايون » التي اتخذت مكان ام
الطفل في قرارة المحيط ، كما جاء في قصيدة ايديث ستويل .

يعجُّ بالزارعين قبلَ كلِّ عيد .
هياي ... كونغاي ، كونغاي !

٢ - تسديد الحساب

تلك الرواسي كم الحطَّ النهارُ على
أقصى ذراها، وكم مرَّت بها الظلمُ
فما فرحن بألافِ الشمسِ ، ولا
من ألفِ نجمٍ تردى مسَّها ألم
صمَّاءُ ، بكاءً ، لم تأخذ، ولا وهبتُ
ولا ترصدَّها موت ولا هرم
لو أودع اللهُ إياها أمانته
لناهنَّ على استيداعها ندمُ
ولاقتسن مع الأحياء ما دفعت
من جزيةٍ لا تُوفى حين تقسم :
عن كلِّ قهقهةٍ من صرخةٍ ثمنُ
وما استجدَّ دمٌ إلا وضاع دم
وما تحمَّل آلام الخاض ولم
يقرب من النور إلا الفكرُ والرحم
وان يَكُن أسعد الأحياء أكملها
فإنما هو أشقاهنَّ لا جرمُ ؟

«قاييلُ» باقٍ وإن صارت حجارتُه
سيفاً، وإن عادَ ناراً سيفُه الخِزْمُ
وردَّ «هاييلُ» ما قاضاهُ بارئُه
عن خَلْقِه، ثمَّ رَدَّتْ باسمه الأُممُ
واليوم، في حينِ وفَى الدِّينَ غارُمُه
إلا بقايا وكادت تخلصُ الدَّمُ
وكاد يُرجعُ للدنيا بشاشتِها
ما قرَّبَتْه الضحايا وهي تبتمُّ
مشى على الأرض خلقُ عاش في دمه
من وحشها في الخاضِ الأولِ الضرم
خلقُ تراءى لـ «يحيى» ساعة افتُرست
عينيه رؤيا لها من هؤلاء فمُ
لو يُقبضُ النورُ بالأيدي لسوره
دونَ الوري.. ولتعمَّ العالمَ الظلم
ريَّانُ عطشانُ لا يروى، بلا فرحٍ
جدلان، بادٍ عليه الجوع والبشمُ
كانه - وهو ماضٍ في غوايته -
من نفسه اقتصَّ، فهو الماءُ والحَمُّ
تفجرُ الضَّحِكُ المسلوبُ من رتَّةٍ
منخوبةٍ بعدَ أخرى هدَّها السَّقمُ

(١) القديس يوحنا - كما يسميه المسيحيون

عن ضحكة أطلقوها فهي صاعقة
أصابهم والورى من رجعتها صمم
واستنزفوا متعة الأحياء: ما دفعوا
عنها، ولا غارماً ما استنزفوا رحوا
ثم استزادوا فإن لم يذهبوا ديةً
أو يقصروا عن طمّاحٍ يرجح العدم!

٣ - حقائق كالخيال

ماذا تريد العيون السود من رجلٍ
قد حاشَ زهرَ الخطايا حين لاقاها
زهراً على جسمي المحمومِ أقطفه
في باقةٍ من جراحٍ بتُّ أصلها
هذا الربيع الذي تهدي شقائقه
ريح المنايا الى قلبي برياًها
أزهارُ تموز^٢ ما أرعى أسلمه
في عتمة العالم السفلي^١ ايها؟

(١) المتحدث في هذه القصيدة مريض في مستشفى الصليب الاحمر في
هيروشيا، مصاب بالزهري الذي افترس دماغه حتى عاد يتخيل اشياء لا وجود
لها ، ولكنه - من خلال ارهامه ودون وعي منه - يصور جانباً مما حدث
في هيروشيا حين القيت عليها القنبلة .

(٢) تموز هو ادونيس إله الحصب والنماء ، وحبیب عشترت - أو
فينوس - إلهة الحب . وهو يقضي نصفاً من السنة - الشتاء - في العالم السفلي مع
برسفون ، والنصف الآخر - الصيف أو الربيع - على الارض مع فينوس .

أمِ صلِّ حواءَ بالتفاحِ كافاني
 وهو الذي أمسَ بالتفاحِ أغواها ؟
 ماذا تريد العيون السود ؟ انَّ لها
 ما لست أنساه منها حين أنساها
 ما بالهنَّ استعصنَ اليومَ أوعيةً
 عن أوجه الغيد.. حتى ضاع معناها ؟
 أين المناقيرُ من لعسٍ مرآشفها
 ربِّي ؟ وأين ابتسامٍ كان يغشاها
 من هذه الخربةِ الظلماءِ محدقة
 بي أعينِ اليومِ من أحداثٍ موتاها ؟
 قفراءُ من غيرِ ثكلى شفتٍ مئزرها
 عن وهجِ فانوسها الكاي وأخفاها
 تسعى كما اصطادَ في ليلٍ يراعتَه
 طفلٌ ، وطارَت وقد ألوى جناحاها
 محيَّنة تتقرَّى كلَّ شاهدةٍ
 من كلِّ قبرٍ ، كما لو كان طفلاها
 في كلِّ قبرٍ يذوقان الردى ديةً
 عمَّن يؤأوي وعن أحياءِ دنياها
 نادتها فأنبرى يزقو لصيحتها
 - من حيث ردَّ الصدى - بومٌ وناداها :

(١) اليراعة ذبابة مضيفة ، حياحب

« أمّاه إنا هنا ریحُ بنا عصفت
لم ندرُ أين انتهينا بعد لقيها »
وانشقّ من خلفها قبرٌ ليلعها
واحتازها واشرأبت منه كفّأها
يختضّ فانوسها التّمتمامُ بينها
والريحُ خرّساء تعبى
غيرَ « ها .. ها .. ها »

ويلمّ سزاك^١ كيف اندكّ حائطه
حتى تعرّى لي السهلُ الذي حجبا ؟
سهلٌ يكنّ الصلالَ الرقّط، أجهضه
عادٍ من المحل حتى يفرع العطبأ
وانبحت التربة العجفاء - من عطش -
عن أشدقٍ فاغراتٍ تنبح السحبا
والشمس كالأطلس^٢ المسعور تنهشه
والريحُ تصليه من تنورها لهبا
أريح ؟ لا، ليست الريح التي ركضت
بيضاءً سوداء رقطاء القفا عجبا

(١) الدكتور سزاكي كان طبيباً في مستشفى الصليب الاحمر في مدينة
هيروشيا .
(٢) الأطلس الذئب .

عنقاء^١ في مسعر الجوزاء أعينها
 والصخر يرفض^٢ من أظلافها شهباً
 تلك الزرافات^٣ في السهل العقيم لها
 مرعى روى من سرابٍ، ينبت السَّغْبَا
 ما روعتها سوى ضوضاء خشخشة
 في كفٍّ أبرصٍ يعدو خلفها خبيبا
 تخفيه عنها ضمادات^٤ ، ويظهره
 ما نرّ من قيحه الدامي وما شخبأ
 نادى ، وكفّاه تختضّان ، «واحرأبا»
 فاستعبر العاصف المصدور «واحرأبا»
 «ماء اسقى يا ماء ..» تلهأث مقاطعة
 منزوعة من لسان يشبه الخشبأ
 حتى استجاب السحاب الجون فانعقدت
 في الجو حباته الغبراء فاحتجبا
 وانهلّ لا عن ندى صافٍ ولا مطر
 بل عن دم ، من تُدي مزقتُ حلبا
 أو عن مشاش من الاحداق فقأها
 سيخ^٥ لجنكيز^٦ دامٍ ينفث اللهبأ

(١) عنقاء طويلة العنق ،

(٢) الزرافات جمع زرافة ، الحيوان المعروف

(٣) جنكيزخان السفاح المشهور .

«ماء، اسقيا ماء..» والغيث الرهيب كلياً
مَفرية سحّت الآجال والكرابا
لم يبقَ من مرتوٍ او ظاميٍّ، بقمٍ
أو دونَ ..، إلا ومن ماء الردى شراباً

ويلٌ لسازاك ! ماذا ينتوي بدمي
من نيةٍ فهو يستصفي ويمتاز؟
تلك الزجاجات أشلاء مجزأة
مني ، دمي مختزٍ فيهن موأر !
لم تشن سازاك عن شحذٍ لمديته
آهات مرضى، ولا ألهاه زوار
إني لدارٍ باني حين يشرعها
رانٍ اليها ، فملدوغٌ ، فمُنْهار
هل تبتغي شفرتها غير آنيةٍ
فيها دمي راجفٌ ، والداء والعار؟
ما كنت يوماً ولا المرضى سوى عرضٍ
- في عين سازاك - يُجبي منه ايجار
ست وعشرون أعدادٌ على سررٍ
أما الأصحاء والمرضى فأصْفار !

فالرقم «عشرون» لا يسقى سوى لبنٍ
والرقم «عشر» نعاه اليوم محرارُ
واليوم لم يبقَ ما اعطيه عن مرضٍ
إلا دعائي وقولي «نعمتِ الدارُ» !
فليلقُ سازاكُ من يسمي «ثمانية»
غيري، ويستوفِ أجرَ القبرِ حفارُ !



قافلة الضياع

أرأيت قافلة الضياع؟ أما رأيت النازحين؟

ألحاملين على الكواهل ، من مجاعات السنين

آثام كل الخاطئين

ألنازفين بلا دماء

ألسائرين الى وراء

كي يدفنوا « هابيل » وهو على الصليب ركام طين؟

« قابيل ، أين أخوك؟ أين أخوك؟ »

جمعت السماء

أما دأها لتصبح . كورت النجوم الى نداء

« قابيل ، أين أخوك؟ »

- « يرقد في خيام اللاجئين

السلّ يوهن ساعديه ، وجئته أنا بالدواء

والجوع لعنة آدم الاولى وإرثُ الهالكين

ساواه والحيوان ثم رماد أسفل سافلين

ورفعته أنا بالرغيف ، من الحضيض الى العلاء »

أليلٌ يُجهض ، والسفائن مثقلات بالغزاه
بالفاتحين من اليهود
يلقين في حيفا مراسيهنّ - كابوس تراه
تحت التراب محاجر الموتى فتجحظ في اللحود
أليلٌ يجهض فالصباح من الحرائق .. في ضحاه
أليلٌ يجهض فالحياه
شيء ترجّح لا يموت ولا يعيش بلا حدود
شيء تفتّح جانبا على المقابر والمهود
شيء يقول « هنا الحدود !
هذا لكل اللاجئين ، وكل هذا لليهود ! »

ألنار تصرخ في المزارع والمنازل والدروب
في كل منعطف تصيح « أنا النضار ، أنا النضار »
من كل سنبلة تصيح ومن نوافذ كل دار
« أنا عجل « سيناء » الإله ، أنا الضمير ، أنا الشعوب
أنا النضار ! »
ألنار تتبعنا ، كأنّ مدى اللصوص وكل قطّاع الطريق
يلهثن فيها بالوباء ، كأنّ ألسنة الكلاب
تلتزّ منها كالمبارد وهي تحفر في جدار النور باب
تتصبّب الظلماء كالطوفان منه ؛ فلا تراب

لِيُعَادَ مِنْهُ الْخَلْقُ ، وَانْجَرَفَ الْمَسِيحُ مَعَ الْعِبَابِ
كَانَ الْمَسِيحُ بِجَنْبِهِ الدَّامِي وَمُتَزَرَّهُ الْعَتِيقُ -
يَسُدُّ مَا حَفَرَتْهُ ألسنة الكلاب
فاجتاحه الطوفان حتى ليس ينزف منه جنب أو جبين
إلا دجى كالطين تبني منه دور اللاجئ
ألنار تركض كالخيول وراءنا أهمُّ المغول
على ظهور الصافنات ؟ وهل سألت الغابرين
أروضا أمس الخيول ؟
أم نحن بدء الناس كل تراثنا أنصاب طين

ألنار تصهل من ورأي والقذائف لا تنام
عيونها وأبي على ظهري ، وفي رحي جنين
عريان دون فمٍ ولا بصرٍ تكوّر في الظلام
في بركة الدم وهو يفرك أنفه بيدٍ وكالجرس الصغير
يرن ملء دمي صداه - تكاد تومض كل رحي بالسلام
حتى أكاد أراه في غبش الدماء المستنير
عريان دون فمٍ كأفقر ما يكون بلا عظام
وبلا أب ، وبدون حيفا دون ذكرى - كالظلام !
أسريت أعبر ، تحت أجنحة الحديد به الزمان
من الحقول الى المراعي فالكهوف

والأرض تطمس من وراء ظهورنا ، كالأبجدية
الدور فيها والدوالي شاخصات كالخروف
فكان أمس غدٌ يلوح وليس بينها مكانٌ
لم يخرجونا من قرانا وحدهنّ ولا من المدن الرخيّة
لكنهم قد أخرجونا من صعيد الآدميّة !
فاليوم تمتلئ الكهوف بنا ونعوي جائعين
ونموت فيها لا نخلف للصغار على الصخور
سوى هباب ما نقشنا فيه من أسدٍ طعين !
ونموت فيها لا نخلف بعدنا حتى قبور
ماذا نخطّ على شواهدها؟ أ « كانوا لاجئين » ؟
أليوم تمتلئ الكهوف بنا تظلل بالحيام
وبالصفيح ، وقد تغلفهنّ بالآجر دور
والنور كالتابوت فيها ، ليس فيه سوى ظلام

بين الكهوف وبين حيفا من ظلام ألف عام أو يزيد
بين الكهوف وبين أمس هناك بئر لا قرار
لها ، كهافية الجحيم تلزّ فاها دون نار
تتعلّق الأجداث فيها كالجلامد في جدار
لحدّاء على لحدّ ، أزيح الطين عنها والحجار
من يدفن الموتى وقد كشفوا وماتوا من جديد ؟

من يدفن الموتى
ليولد ، تحت صخرة كل شاهدة ، وليدٌ ؟
من يدفن الموتى لئلا يُرخموا باب الحياةِ
على أكفّ القابلات ؟
من يدفن الموتى لنعرف أننا بشر جديدٌ !
في كل شهرٍ من شهور الجوع يومىء يوم عيدُ
فنخفّ نَحْمَل من « تذاكرنا » صليب اللاجئين
- « يا مكتباً للغوث في سيناء هبّ للتائبين
منّاً وسلوى من شعيرٍ ، والمشيمة للجنين
واجعل له المطاط سرّه
وارزقه ثدياً من زجاجٍ واحش بالإدريج صدره »

وبأى لغة تتولّ فيستجيب الآخرون
ونورث الدم للصغار ؟
أعلمتَ - حين نقول دار أو سماء - أيّ دارٍ
أو سماء تخطران على العيون ؟
هيهات ، ليس للاجئين ولاجئات من قرار
أو ديار ،
إلا مراع كان فيها: أمس معنى أن نكون
سنظل نضرب كالمجوس نجس. ميلاد النهار !

كم ليلةٍ ظلماءٍ كالرحم انتظرنا في دجاها
نتلمس الدم في جوانبها ونعصر من قواها
شعّ الوميض على رتاج سماءها مفتاح نار
حتى حسبنا أن باب الصبح يفرج - ثم غار
وغادر الحرسُ الحدود
واختصَّ رعدٌ في مقابر صمتها يعد القفار ،
ثم اضمحلَّ الى غبار بين أحذية الجنود
أليل أجهض ناره الحمى وديمته انتحاب الضائعين
أليل أجهض : ليس فيه سوى مجوس اللاجئين

ألنار تركض كالخيول وراءنا أهمُّ المغولُ
على ظهور الصافنات ؟ وهل سألتَ الغابرينَ
أروضوا أمسَ الخيول ؟
أم نحن بدء الناس : كل تراثنا أنصاب طين ؟



يَوْمَ الطَّفَاةِ وَالْأَخِيرِ

[أغنية تأثر بهربي من تونس لرفيقتة]

- « إلى الملتقى ، ، وانظوى الموعدُ
وظلَّ الغدُ
غد الثائرين القريبُ
يداً بيدٍ من غمار اللهبِ
سرقى الى القمة العاليه
وشعرك حقلُ حباه المغيب
أزاهيره القانيه

نرى الشمس تنأى وراء التلالِ
وبين الظلال
وقد رفَّ ، مثل الجناح الكسير -
على كومةٍ من حطام القيود
على عالم بائدٍ لن يعود -

سناها الأخير

تقولين لي : « هل رأيت النجوم ؟

أبصرتها قبل هذا المساء

لها مثل هذا السنن والنقاء ؟ »

تقولين لي « هل رأيت النجوم

وكم أشرقت قبل هذا المساء

على عالم لطخته الدماء

دماء المساكين والإبرياء ! »

تقولين لي : « هل رأيت النجوم

تُطلّ على أرضنا وهي حرّه

لأول مرّه ؟ »

نعم . أمس حين التفتت إليك

ترأين كالهجس في مقلتيك .

وإذ يستضيء المدى بالحريق

فيندكّ سجن ويُجلى طريقُ

ويُذكي بأطيفاه الدافئه

محيّاك بالهفة الهائنه ؟

تقولين « نحن ابتداء الطريق -

ونحن الذين اعتصرنا الحياه :

من الصّخر تدمى عليه الجباه
ويمتصّ ريّ الشفاه ،
من الموت في موحشات السّجون ؛
من البؤس ، من خاويات البطنون ؛
لأجياها الآتية .
لنا الكوكب الطالعُ
وصبح الغد الساطعُ
وأصّاله الزاهيه !



إلى جميلة بوخيزو

لا تسمعيها إن أصواتنا
تخزي بها الريح التي تنقل ؛
باب علينا من دم مقفل
ونحن في ظلماتنا نسال :
« من مات ؟ من يبكيه ؟ من يقتل ؟
من يصلب الخبز الذي نأكل ؟
نخشي اذا واريت أمواتنا
أن يفزع الأحياء ما يبصرون
اذ يقفر الكهف الذي يهلون ؛
إن عربد الوحش الذي يطعمون
من أكبد الموتى ، فمن يبذل ؟

يا أختنا المشبوحة الباكية ،
أطرافك الداميه
يقطرُن في قلبي ويبكين فيه .

يا من حملتِ الموت عن رافعيه
من ظلمة الطين التي تحتويه
إلى سماوات الدم الواربه ،
حيث التقى الإنسان والله ، والأموات والأحياءُ في شهقةٍ ،
في رعشةٍ للضربة القاضيه .
الأرضُ ، أمُّ الزهر والماء والأسماك والحيوان والسنبلِ ،
لم تبلُ في إرهابها الأولِ
من خضة الميلاد ما تحملينُ
ترتجُ قيعانُ المحيطات من أعماقها ، ينسحُ فيها حنين ،
والصخر منشدٌ بأعصابه - حتى يراها - في انتظار الجنين .
الأرض ؟ أم أنت التي تصرخين ؟
في صمتك المكتظُّ بالآخرين ؟
في ذلك الموت ، المخاض ، الحب ، المبعوض ، المنفتح ، المقفل .
ونحن ؟ أم أنت التي تولدين ؟
أسخى من الميلاد ما تبذلين ،
والموت ، أقسى منه ، من كل ما عاناه أجيالٌ من الهالكين ،
أنَّ الذي من دونه الجُلجُلَه
والسوطَ والسجَّانَ والمقصله ،
أنَّ الذي يفديكِ أو تفتدين ،
غير الذي آذوه بالنار أو بالعار والماء الذي تشربين

عبءٌ من الآجال ما أثقله !
 كم حاول الجلاد أن ينزله ،
 كم ودَّ أن تُلقيه إذ تعجزين
 مشبوحةَ الأطراف فوق الصليب ،
 مشبوحةَ العينين عبرَ الظلام ،
 يأتيكِ من وهران - يا للزحام ! -
 حَشْدٌ مُشعُّ باشتعال المغيب ،
 يأتيكِ كلُّ الناس ، كلُّ الأنام ،
 يرجون ، مما تبذلين ، الطعام
 والأمنَ والنِعماءَ والعافيه .
 وأنتِ مثلُ الدوحةِ العارِيه ،
 لم يُبقِ منكِ البغيُّ إلا الجذور
 ألموتِ واهٍ دونها ، والنشور
 فيها ، وتجري دونكِ الساقيه .
 ما شبَّ في وهران من بُرعِمِ-
 أو أزهرت في أطلسِ عَوْسِجِه ،
 إلا ودبت في مسيلِ الدمِ-
 نعمةٌ منعشةٌ مبهجه
 توحى بأن الارض ظلت تدور
 طاحونةً للقاتل المجرمِ-

تسحق منه واهنَ الأعظمُ ،
وأنَّ ألوانَ الأذى والعذاب
ذُخرٌ لنا ، نجلوه يوم الحساب
نسقي به الباغين ، نروي التراب
من لَفَجِهِ - أنَّ الهوى والشباب
لم يذهبا - أن البعاد اقتراب -
أنَّ من الدمع الذي تسكبين
أسلحةً في أذرع الثائرين .
جاء زمانٌ كان فيه البشر
يفدون من أبناءهم للحجر
« يا رب عطشى نحن . هات المطر !
روِّ العطاشي منه روِّ الشجر »
وجاء حينٌ عاد فيه البشر
يفدون بالأنعام ما تحبس السماء في أعماقها من قدر
وجاء عصرٌ سار فيه الإله
عريان ، يدمى ، كي يروِّي الحياه
واليوم ولَّى محفلُ الآلهه ،
اليوم يفدي ثائرٌ بالدماءُ
الشيبة والشبان ، يفدي النساء ،
يفدي زروع الحقل ، يفدي النماء ،

يفدي دموع الأيِّم الواله .
بالأمس دووى في ثرى يثربِ
صوتٌ قوِيٌّ من فقيرٍ نبي ،
ألوى ببغي الصَّخْر لم يضربِ ،
وحطَّم التيجانَ ايُّ انطلاقُ
في مصرَ ، في سورِيَّةِ ، في العراقِ ،
في ارضكِ الحُضراءِ كان انعتاق !
بالأمس وارى قومك الآله

عشتار ، أمُّ الحِصبِ ، والحب ، والاحسان ، تلك الرِّبَّة الواله
لم تُعطِ ما أعطيتِ ، لم تُرَوِّ بِالأمطارِ ماروِيَّتِ : قلبَ الفقيرِ ،
لم يعرف الحقد الذي يعرفونُ
والحسدَ الآكلَ حتى العيونُ
نحن بنو الفقر الذي يزعمون
في كل عصر أنهم وارثوه
قايلل فينا ما تهاوى أخوه
من ضربة الحقد التي يضربون
يوم ابتدأنا كان عبءُ السماء
ملقىً على أطلسِ ،
يزحمه بالنكب الأملسِ

ثم ارتقى « ايفل »^١ ، تمّ البناء
فانحطّ ذاك العبءُ حيناً عليه ؛
ثم انطلقنا نحن من جانبيه
حتى حملنا عبئها، كلّ ما فيها من الأبراج والأنجُم:
يا أختنا المشبوحةَ الباكية ،
أطرافك الداميه
يقطرن في قلبي ويبكين فيه
لم يلق ما تلقين أنتِ المسيحُ -
أنتِ التي تفدينُ جرحَ الجريحِ
أنتِ التي تُعطينُ .. لا قبضَ ريح ،
يا أختنا ، يا أمّ أطفالنا
يا سقف أعمالنا
يا ذرورةً تعلو لأبطالنا
ما حزّ سوط البغي في ساعديك
إلا ، وفي غيبوبة الانبياء ،
أحسستِ أنّ السوط ، أن الدماء ،
أنّ الدجى ، أن الضحايا .. هباء
من اجل طفل ضاحكته السماء
فرحان في أرضه

(١) برج ايفل في باريس .

وبعضه فرحانٌ من بعضه ،
أحسسته يجبو على راحتينك ،
سمعتيه يضحك في مسمعيك ،
يهتف يا جميلة

يا أختي النبيله ،
يا أختي القتيله ،

لك الغد الزاهي كما تشتهين ،
وانت إذ أحسستِ ، إذ تسمعين ،
تعلو بكِ الآلام فوق التراب
فوق الذرى ، فوق انعقاد السحاب ،
تعلين حتى محفل الآله
كالرَبَّة الواله ،
كالسمة التائه .

لا تسمعها إن أصواتنا
تخزي بها الريحُ التي تنقلُ
بابُ علينا ، من دمٍ موقفٍ
ونحنُ نحصي ، ثم ، أمواتنا .
الله لولا أنت يا فاديه

ما أثمرت أغصاننا العاربه
أو زنبقت أشعارنا القافيه
إننا هنا في هوةٍ داجيه
ما طاف لولا مقلتكِ الشعاعُ
يوماً بها . نحن العراة الجياع ،
لا تسمعي ما لفقوا ، ما يُذاع ،
ما زيّنوا ، ما خطّ ذاك اليراع .
إننا هنا كومٌ من الأعظم .
لم يبق فينا من مسيل الدم
شيء نروّي منه قلبَ الحياة .
إننا هنا موتى ، حفاة ، عراة
لا تسمعيها ، ان أصواتنا
تخزي بها الريحُ التي تتقلُّ ،
بابٌ علينا ، من دمٍ ، مقفلٌ
ونحن في ظلماتنا نسال :
« من مات ؟ من يبكيه ؟ من يُقتلُ ؟ »
يا نفحةً من عالم الآلهه
هبّت على أقدامنا التائبه ،
لا تمسحها من شواظ الدماء ،

إننا سنمضي في طريق الفناء ؛
ولترفعي « اوراس » حتى السماء
حتى تروى من مسيلِ الدماء
أعراقُ كلِّ الناس ، كلِّ الصخورِ
حتى نَسَّ اللهُ

حتى تنور !



رسالة من مقبرة

[إلى المهامدين الجزائريين]

من قاع قبري أصبح
حتى تنن القبور
من رجع صوتي ، وهو رمل وريح :
من عالم في حفرتي يستريح ،
مركومة في جانبه القصور ،
وفيه ما في سواه
إلا ديب الحياه ،
حتى الأغاني فيه ، حتى الزهور
والشمس ، إلا أنها لا تدور
والدود نخار بها في ضريح .
من عالم في قاع قبري أصبح :
لا تياسوا من مولد او نشوينا
النور من طين هنا أوزجاج

قُفْلٌ عَلَى بَابِ سَوْرٍ
أَلْنُورِ فِي قَبْرِ دَجِيٍّ دُونَ نُورِ
أَلْنُورِ فِي شُبَّانِ دَارِي زَجَاجٍ ،
كَمْ حَدَّقْتُ بِي خَلْفَهُ مِنْ عَيُونِ
سُودَاءَ كَالْعَارِ .

يَجْرَحُنْ بِالْأَهْدَابِ أَسْرَارِي
فَالْيَوْمِ دَارِي لَمْ تَعُدْ دَارِي
وَالنُّورِ فِي شُبَّانِ دَارِي ظَنُونِ
تَمْتَصُّ أَغْوَارِي .

وَعِنْدَ بَابِي يَصْرُخُ الْجَائِعُونَ
« فِي خُبْرِكَ الْيَوْمِي دَفَّءُ الدَّمَاءِ
فَامَلَّا لَنَا ، فِي كُلِّ يَوْمٍ ، وَعَاءُ
مِنَ لَحْمِكَ الْحَيِّ الَّذِي نَشْتَهِيهِ ،
فَنَكْهَةُ الشَّمْسِ فِيهِ
وَفِيهِ طَعْمُ الْهَوَاءِ ! »

وَعِنْدَ بَابِي يَصْرُخُ الْأَشْقِيَاءُ
« أُعْصِرْ لَنَا مِنْ مَقْلَتِكَ الضِّيَاءَ
فَأَنَّا مُظْلَمُونَ ! »

وَعِنْدَ بَابِي يَصْرُخُ الْمُخْبِرُونَ :
« وَعَرُّهُ الرِّقَى إِلَى الْجَلْجَلَةِ ، »

(١) الجَلْجَلَةُ الْجَبَلُ الَّذِي حَمَلَ الْمَسِيحَ صَلِيْبِهِ إِلَى قَتْلِهِ .

والصَّخْرُ ، ياسيزيفُ ، ما أثقله ..
سيزيف .. إنَّ الصخرةَ الأخرى !

لكنَّ أصواتاً كقرع الطبولُ
تنهلُّ في رمسي
من عالم الشمسِ ؛
هذي خطى الأحياء بين الحقولِ
في جانب القبر الذي نحن فيه
أصداؤها الخضراء
تنهلُّ في داري
أوراقَ أزهارِ
من عالم الشمس الذي نشتهيهِ
أصداؤها البيضاءُ
يصدعنَ من حولي جليدَ الهواءِ
أصداؤها الحمراء
تنهلُّ في داري
شلالَ انوارِ ،
فالنور في شبَّاك داري دماء
ينضَحْنَ من حيث التقى ، بالصخورِ
في فُوهةِ القبرِ المغطَّاةِ ، سور

هذا مخاضُ الأرض لاتيّاسي ؛
بُشراكِ يا اجدّاتِ ، حانَ الفشورُ !
بُشراكِ .. في «وهران» أصداءُ صوُر .
سيزيفُ ألقى عنه عبءَ الدهور
واستقبلَ الشمسَ على «الاطلس» !

آهٍ لوهرانَ التي لا تثور !



في المغرب العربي

قرأتُ اسمي على صخره
هنا، في وحشة الصحراء،
على آجرة حراء،
على قبرٍ فكيف يحسّ إنسانٌ يرى قبره ؟
يراه وإنه ليحارُّ فيه ؛
أحيّ هو أم ميتٌ ؟ فما يكفيه
أن يرى ظلًّا له على الرمال،
كثذنةٍ معفرةٍ
كقبرةٍ

كجدٍ زال !
كثذنةٍ تردّد فوقها اسمُ الله
وخطُّ اسمٍ له فيها،
وكان محمدٌ نقشاً على آجرةٍ خضراءُ
يزهو في أعاليها
فأسمى تاكل الغبراء

والنيران ، من معناه ،
ويركله الغزاة بلا حذاء
بلا قدمٍ .

وتنزف منه ، دويماً دمٌ ،
جراحٌ دوغماً ألمٌ -
فقد ماتُ

ومتنا فيه ، من موتى ومن أحياء .
فنحن جميعنا أموات .
أنا ومحمد والله .

وهذا قبرنا أنقاض مئذنة معفّرة
عليها يُكتبُ اسمُ محمدٍ والله ،
على كِسْرٍ مبعثرةٍ
من الأجرِ والفخارِ

فيا قبر الإله ، على النهار
ظلُّ لآلف حربٍ وفيلٍ
ولو نُ أبرهه

وما عكسته منه يدُ الدليل ،
والكعبة المحزونة المشوّخة .
قرأتُ اسمي على صخره ،
على قبرين بينها مدى أجيالٍ

يجعل هذه الحفرة
تضمّ اثنين : جدّ أبي - ومحض رمال
ومحض نثارة سوداء منه ، استنزلا قبرا -
وإيبي ، ابنه في موته والمضغة الصلصال

وكان يطوف من حدي
مع المدّ
هتافٌ يملأ الشيطانَ : يا ودياننا ثوري !
ويا هذا الدمُ الباقي على الأجيالُ
يا إرثَ الجماهيرِ ،
تشظّ الآنَ واسحقِ هذه الأغلالُ
وكالزلال
هُزّ النير ، او فاسحقه واسحقنا مع النير
وكان إلهنا يختالُ
بين عصائب الأبطالِ ،
من زندي إلى زندي
ومن بندٍ إلى بندٍ

إله الكعبة الجبارُ ،
تدرّع أمس في ذي قارتي

بدرعٍ من دم النعمان في حافاتها آثارُ
إله محمد وإله آبائي من العربِ ،
ترأى في جبال الريف يحمل راية الثوارِ ،
وفي يافا رآه القوم يبكي في بقايا دار .
وأبصرناه يهبط أرضنا يوماً من السحبِ
جريحاً كان في أحيائنا يمشي ويستجدي ،
فلم نضمدُ له جرحاً
ولا ضحى
له منا بغير الخبز والانعام من عبدٍ !

وأصوات المصلين ارتعاشٌ من مرآئيه
إذا سجدوا ينزُّ دمٌ
فيسرع بالضهاد فم
بآياتٍ يغضُّ الجرح منها خير ما فيه ،
تداوي خوفنا من علمنا أنا سنحييه
إذا ما هلل الثوار منا « نحن نفديه ! »

أغار ، من الظلام على قرانا
فأحرقهنَّ ، سربٌ من جرادِ
كان مياه دجلة ، حيث ولى ،

تمّ عليه بالدم والمدادِ
أليس هو الذي فجأ الحُبالي
قضاه ، فما ولدنَ سوى رمادٍ ؟
وأنعل ، بالأهلة في بقايا
مآذنها ، سنابك من جوادٍ ؟
وجاء الشام يسحب في ثراها
خُطى أسدين جاعا في الفؤادِ ؟
فأطعم أجوع الاسدين عيسى
وبلّ صداه من ماء العبادِ
وعضّ نبيّ مكة .. فالصحارى
وكل الشرق ينفرُ للجهادِ ؟

أعاد ، اليوم ، كي يقتصّ من أنا دحرناه ؟
وان الله باقٍ في قرانا ، ما قتلناه ؟
ولا من جوعنا يوما أكلناه ؟
ولا بالمال بعناه -
كما باعوا
إلههمُ الذي صنعوه من ذهبٍ كدحناه ؟
كما أكلوه إذ جاعوا -
إلههمُ الذي من خبزنا الدامي جبلناه ؟

وفي باريس تتخذ البغايا
وسائدهن من ألم المسيح
وبات العقم يزرع في حشاها
فم التتئين : يشهق بالفحيح
ويقذف من حديد في حملنا
جحافل كالفوارس ، دون روح
تجد وراء مكة في الصياصي
اقناها ، ويثرب في السفوح

قرأتُ اسمي على صخره
وبين اسمين في الصحراء
تنفّس عالمُ الاحياء
كما يجري دمُ الأعراق بين النبض والنبض
ومن آجرة حرام ماثلة على جفوه ،
أضاء ملامح الارض
بلا ومض

دمٌ فيها ، فسماها
لتأخذ منه معناها
لاعرف أنها أرضي
لاعرف أنها بعضي

لأعرف انها ماضي ، لا أحياء لولاها
وأني ميت لولاه ، أمشي بين موتاه
أذاك الصاحب المكتظ بالرايات وازينا ؟
أهذا لوُن ماضينا
تضوّاً من كوى « الحمراء »
ومن آجرةٍ خضراء
عليها تكتب اسم الله بقيا من دمِ فينا ؟
أنبرُ من أذان الفجر ؟ أم تكبيرة الشوار
تعلو من صياصينا .. ؟
تمخّضت القبور لتنشر الموتى ملاينا
وهبّ محمدٌ وإلهه العربيّ والأنصار
إن إلهنا فينا



مرثية جيكور

يا صليب المسيح ألقاك ظلًا
فوق « جيكور » طائر من حديد
يا اظلم كظلمة القبر في اللون ، وكالقبر في ابتلاع الخدود
والتهام العيون من كل عذراء كعذراء « بيت لحم » الولود .
مرّ عجلان بالقبور العواري من صليب على النصارى شهيد
فاكتست منه بالصليب الذي ما كان إلا رمز الهلاك الأبيد :
لا رجاء لها بأن يُبعث الموتى ولا مامل لها بالخلود !
ويل جيكور ؟ أين إيامها الخضرُ وليلاتُ صيفها المفقود ؟
والعشاء السخّي في لينة العرس وتقبلة العروس الودود
وانتظار له على الباب ؟
- « محمود ، تأخرت يا أبا محمود

ناد محمود ! »

ثم يوفي على الجمع بمنديل عرسه المعقود

(١) جيكور قرية الشاعر في جنوب البصرة

تقططه الدماء يشهدن للخدر بعذراء ، يالها من شهود^٢
لا على العقم والردي، بل على الميلاد والبعث والشباب الجديد!
أي صوت يصيح: «محمود، محمود تأخرت!» كالنواح البعيد؟
أين محمود؟ ليس محمود في الدار ولا الحقل!

يا أبا محمود

نادي محمود كاد ان يهف الديك وما زال جمعنا في الوصيد
قل له يبرز الدماء فاننا في انتظار لها وشوق مبيد!
ذرت نجم الصباح محمود، محمود، أقبلت بالدم المنشود؟
أي جرح ينز منه الدم الموار في باب دارك المرصود؟
إنه منك! منك هذا الدم الثر ومن جانب العروس القديد!
أالصليب، الصليب! إننا رأيناه وقد مرر كالحيال الشroud،
قد رأيناه في الصباح وفي الليل سمعنا كقعقعات الرعود.
أهو هذا الذي يريدون؟ أشلاءً وأنقاض منزل مهدود؟
أفما قامت الحضارات في الأرض كعنقاء من رماد اللحود؟
لا ولم تفرخ العقول على المجهول يسبرن فيه غور الوجود!
أو يشق العباب قلع يصكك الرياح صكاً الى البعيد البعيد؟
أو يلمّ النسيم عقداً من النور ويندروه باقة من ورود
ساحر فجر المدى عن مدى ملآن باللحن مترع بالنشيد؟
أوتدق الأجراس: «يا أرض، يا بشرك بالحب والمسيح الوليد»؟

(٢) من التقاليد المتبعة في الريف العراقي أن يبرز العريس في ليلة العرس
منديلاً ملطخاً بالدماء يشهد على أن العروس عذراء!

لا ولم يُختم الزجاج على كل «هرقل»^١ من العقار الأكيد
يخنق الموت كلهما بالناس ويحتاج كسرات الأسود؟
لا ولا قيس بعد ما لفته الليل من الارض واحتوى من حدود
بالذي قاس حافة الساعة القوراء في قرصها ذراعا حديد؟
أو يفض الظلام؟- الا لكي تندك «جيكور» بالسلاح الجديد؟
كي يراها على اتساع المدى والشاؤ- من ليس طرفه بالحديد؟
من وراء المحيط والليل والغابات والبيد والذرى والسدود!
أين من شال «جين» أطهار «كلثوم»؟ وأن الغضا من الاركيد؟
فيم أسرى صحاب «جين» المغاوير الى زوج «كلم» المنكود؟
يا رمادا تذرّه الزرع الشعثاء في مقلة القمير الوحيد ،
أنت «جيكور» كل جيكور: أحداق العذارى وباسلات الزنود
والرؤوس التي حثا فوقهنّ الدهر ما في رحاه من تنكيد
صرّد القمح من نثار لها اللون ، ولم تحظّ بالرغيف الوئيد
فهي صحراء تزفر الملح آهات وشكوى ، لمائها المؤود!
خورس^٢

شيخ اسم الله ترللا
قد شاب ترل ترل ترار وما هلا

(١) هرقل الجمار ، خنق الموت وذلل الأسود الكاسرة

(٢) يغني الخورس اغنيتين عراقيتين شعبيتين (شيخ اسم الله) نبات
كالخلفاء تؤكل أزهاره وهي في براعمها ، وتتفتح عن سنابل تشبه الرؤوس
التي ثابت

ترلل العيدُ ترللا
ترللا عرسُ «حمادي» ،
زغردن ترلّ ترلّلا
الثوب من الريز ترلّلا
والنقشُ صناعةُ بغدادَ

إنها الريح! فاملئي الريح يا جيكورا بالضحك أو نثار الورود!
قطب الصمتُ حيث كانت أغانيك، وحيث العبيرُ نتن الصديد.
جاء قرنٌ وراح والمدنُ في ضوضاء، مارلن من حساب النقود،
ضاع صوتُ الضعاف فيها وآهات النبيّين وابتهاال الطريد
واستحال الفضاء—من ضجّة الآلات فيها ومن لهاث العبيد—
غير هذا الفضاء شيئاً لغير الآدميين— ربما للقرود
ربما للذئب والدود والأدنى من الدود في الحضيض البليد!
ظلّ ذاك الضجيج كالجيفة الحبلى بما ليس غير عقم الولود،
ثمّة التّمّ في كرات من النار فالقى عليك صمت اللهود!
لا عليك السلام يا عصر «تعبان بن عيسى» وهنت بين العهود!
ها هو الآن فحمة تنخر الديدانُ فيها فتلتظي من جديد
ذلك الكائن الخرافيّ في جيكور ، «هومير» شعبه المكدود
جالس القرفصاء في شمس آذار وعيناه في بلاط «الرشيد» ،

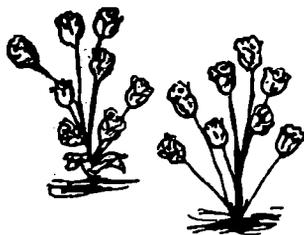
(١) هومير الشاعر الإغريقي الأعمى .

يمضغ التبغ والتوار يخ والأحلام ، بالشدق والخيال الوئيد
ما تزالُ «البسوس» محمومة الخيل لديه، وما خبا من «يزيد»
نار عينين ألقاها على «الشمير»^١ ظللاً مذبحات الوريد!
كلما لزم شمره الخيل او عرى ابو زیده^٢ التحام الجنود
شدّ راحاً وأطلو المغزل الدوّار يدحوه للمدار الجديد!
وانتهى من حديثه الضخم عن ضخّم من الغزل، وانتهى من قعود
نصف عريان يسحب الطرف عن صدر تعرّى وعن قميص فقيد
غير بقيا على فمٍ دقّ حتى عن فم العنكبوت، في رأس عود:
مغزلٌ ينقض الذي حاكه النول، وجهد أضع شتى جهود
فهو كدّ وليس بالكدّ، أردى قبله اثنين وادعى بالزيد -
حاضر غير حاضر، منه للماضي فناء وللغد الموعود!
لا عليك السلام يا عصر تعبان بن عيسى وهنت بين العهود
أنت أيتمت كل روح من الماضي، وسودت آلة من حديد
تسكب السم واللظى لا حليب الأم أو رحمة الأب المفقود:
سلم في الحضيض أعلاه - مرقاه انخفاض وإن بدا كالصعود
حدقت منه في الوري مقلتا «فوكاي» تستشرفان أيام «هود»
والمسيح المبيع بخساً بما لو يبيع لحمًا لناء عن تسديد!
حدقتي حيث شئت، يا عين فوكاي المدمّاة، من مداك المديد!

(١) الشمير قاتل الحنين ، وتصوره القصص مرتدياً ثياباً حمر اللون

(٢) ابو زيد الهلالي .

فهي سوق تُباع فيها لحومُ الأدميين دون سلخ الجلود
كلُّ أفريقيا وآسية السمراء، ما بين زنجها والهنود
واشترى لحم كلِّ من نطق الضاد تجار تبيعه لليهود!
هكذا قد أسفَّ من نفسه الانسان وأنهار كانهيار العمود!
فهو يسعى وحلمه الخبز والأسمال والنعل واعتصار النهود!
والذي حارت البرية فيه^١ بالتأويل، كائنٌ ذو نقود!



(١) قال المعري : والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد.

تموز جيڪور

نابُ الخنزير يشقُّ يدي
ويغوص لظاهِ الى كبدي ،
وذي يبتدق ، ينسابُ
لم يفدُ شقائقَ أو قححا
لكن ملحا



— (عشتار) . . . عشتار أواب

وترف حيايَ أعشابا
من نعلٍ يخفق كالبرق
كالبرق الخُلب ينساب .

لو يومض في عروقي
نورٌ ، فيضيء لي الدنيا !

لو أنهض ! لو أحيأ !

لو أسقي ! آه لو أسقي !

لو أن عروقي أعناب !

وتقبّل ثغري عشتاراً .

ترجمہ: (م)

فكان علىٰ فيها ظلّمه
تنثال عليّ وتطبقُ ،
فيموت بعينيّ الألق
أنا والعُثمه

٢

جيكورُ . ستولدُ جيكورُ
ألتور سيورق والشورُ
جيكور ستولد من جرحي ،
من غصّة موقى ، من ناري ؛
سيفيض البيدر بالقمح ،
والجرن سيضحك للصبح ،
والقرية داراً عين دار
تتأوج أنعاماً حلّوه ،
والشيخ ينام على الربوه ،
والنخل يوسوس أسراري .
جيكور ستولد لكنّي
لن أخرج فيها من سجن
في ليل الطين المدود .
لن يلبص قلبي كاللحن
في الأوتار ،

لن يخفقَ فيه سوى الدود .

٣

هيات أتولد جيكورُ

إلا من خضة ميلادي ؟

هيات أينبتقُ النورُ

ودمائي تُظلم في الوادي ؟

أيسقسقُ فيها عصفورُ

ولساني كومةُ أعوادٍ ؟

والحقل ؟ متى يلد القمحا

والورد ، وجُرُحي مفعورُ

وعظامي ناضحةٌ ملُحا ؟

لا شيء سوى العدم العدم ،

والموت هو الموتُ الباقي .

يا ليلُ أظلُ مسيلَ دمي

ولتغدُ تراباً أعراقي !

هيات . أتولد جيكور

من حقد الخنزير المتدثر بالليل

والقبيلة برعمة القتل

والغيمة رملٌ منثورُ

يا جيكور ؟



جيكور والمدينة

.. وتلتف حولي دروبُ المدينه
حبالاً من الطين يمضن قلبي
ويُعطين، عن جرة فيه ، طينه ،
حبالاً من النار يجلدن عرّي الحقول الحزينه
ويُحرقن جيكورَ في قاع روجي
ويزرعن فيها زمام الصغينه
دروبُ تقول الأساطير عنها
على موقدٍ نام ما عاد منها
ولا عاد من ضفة الموت سارٍ ،
كان الصدى والسكينه
جناحاً أبي الهول فيها، جناحان من صخرة في تراها دفينه.
فمن يقبجر الماء منها عيوناً لتبني قرانا عليها ؟
ومن يرجع الله يوماً إليها ؟
وفي الليل ، فردوسها المستعاد ،

إذا عرّش الصخر فيها غصونه
ورصّ المصاييح تُفاح نارٍ
ومدّ الحوانيتَ أوراقَ تينه ،

فمن يُشعل الحبّ في كل درب وفي كلّ مقهى وفي كل دار؟
ومن يرجع المخلّب الأدمي يداً يمسح الطفل فيها جبينه؟
وتخضّل من لمسها ، من ألوهية القلب فيها، عروق الحجار؟
وبين الضّحى وانتصافِ النهار
إذا سبّحت باسم ربّ المدينة

– بصوت العصافير في سدرة يخلق الله منها قلوب الصغار –

رحى معدنٍ في أكفّ التجار

لها ما لأسماك جيكور من لمعةٍ واسمها من معانٍ كثار ،
فمن يسمع الروح؟ من يبسط الظلّ في لافحٍ من هجير النضار؟
ومن يهتدي في بحار الجليد إليها فلا يستريح السفينه؟
وجيكور ، من غلّقت الدُّور فيها – وجاء أنبها يطرق
الباب – دونه ؟

رمن حوّل الدرب عنها.. فمن حيث دارٍ أشرّ أبت إليه المدينة؟
وجيكور خضراءُ مسّ الأصيلُ ذرى النخل فيها
بشمسٍ حزينه .

يدُّ الكرى لي طريقاً إليها

من القلب يمتدّ، عبرَ الدهاليز، عبر الدجي والقلاع الحصينه..

وقد نام في بابلَ الراقصون
ونام الحديدُ الذي يشحذونه ،
وغشَّى، على أعين الخازنين ، لهاتُ الثُّضار الذي يجرسونه ؛
حصادَ الجماعات في جنتيها
رحىً من لظي مر دربي عليها ،
وكرم عساليجه العاقراتُ شرايينُ تموزَ عَبْرَ المدينة،
شرايين في كل دارٍ وسجنٍ ومقهى
وسجنٍ وبارٍ وفي كل ملهى
وفي كل مستشفيات المجانين
في كل مبعى لعشتار
يطلعنَ أزهارَهَنَّ الهجينه
مصاييحَ لم يُسرج الزيتُ فيها وتمسسه نار .
وفي كل مقهى وسجن ومبعى ودار
« دمي ذلك الماء ، هل تشربونه ؟
ولحمي هو الخبز ، لو تأكلونه ! »
وتموز تبكيه لاةُ الحزينه

ترفع بالنواح صوتها مع السَّحَرِ
ترفع بالنواح صوتها ، كما تنهد الشجر
تقول « يا قطار ، يا قَدَرُ ! »

قتلتَ - اذ قتلتَه - الربيعَ والمطرُ «
 وتشر (الزمانُ) و (الحوادثُ) الخبرُ^١
 ولاة تستغيثُ بالضمِّد، الحفرُ
 أن يُرجع ابنها يديه، مقلتيه، أيَّما أثرُ!
 وترسل النواحَ «يا سنابل القمرُ
 دم ابنيَ الزجاجُ في عروقه انفجر
 فكهرباءُ دارنا أصابت الحجرَ
 وصكَّه الجدارُ، خضَّه، رماه لمحَّة البصر.
 أراد ان يُنير، أن يبدد الظلامَ .. فاندحرُ»
 وترسل النواح
 ثم يصمت الوترُ

وجيكور خضراء
 مسَّ الاصيل
 ذرى النخل فيها
 بشمسٍ حزينه
 ودربي إليها كومض البروق ،
 بدا واختفى ثم عاد الضياء فأذكاه حتى أنارَ المدينة
 وعرَّى يدي من وراء الضَّهاد كان الجراحات فيها حروق.

(١) وانصح ان «الزمان» و «الحوادث» جريدتان .

وجيكور من دونها قام سور

وبوابة

واحتوتها سكينه

فمن يخرق السور؟ من يفتح الباب؟ يدمي على كل قفل يمينه؟

وئمني: لا مخلب للصراع فأسعى بها في دروب المدينة

ولا قبضة لابتعاث الحياة من الطين

لكنها محض طينه

وجيكور من دونها قام سور

وبوابة

واحتوتها سكينه



العودة ببيكور

على جواد الحُلْمِ الأشهبِ
أسريتُ عَبْرَ التَّلَالِ
أهرب منها ، من ذراها الطوال ،
من سوقها انكتظَّ بالباطعين ،
من صباحها المتعبِ
من لينها النَّابِحِ والعابرين ،
من نورها الغَيْثِ ،
من ربهَا المغسولِ بالخمِرِ ،
من عارها المخبوءِ بالزهرِ ،
من موتها الساري على التهرِ
يمشي على أمواجه الغافية
أواه لو يستيقظ الماء حينه ،
لو كانت العذراء من وارجيه ،
لو أن شمس المغرب الداميه
تبتلُّ في شطَّيْه او تشرقُ ،

(١) كان المسيح ، في عهده ، هو الذي مشى على الماء .

لو أن أغصان الدُّجى تورقُ
أو يُوصدُ الماخور عن داخله

٢

على جواد الحُلْمِ الأشهبِ
وتحت شمس المشرق الأخضر
في سيف جيكور السخيِّ الثري
أسريتُ أطوي دربي النَّائِي
بين الندى والزهر والماءِ
أبحث في الآفاق عن كوكب^١
عن مَوْلد للروح تحت السماء
عن منبع يُروي لهيب الظماء
عن منزلٍ للسائح المتعبِ

٣

جيكور، جيكور أين الخبزُ والماءُ؟
أليل وافى وقد نام الادلاءُ؟
والركبُ سهرانُ من جوعٍ ومن عطشٍ
والريحَ صرُّ، وكل الأفقُ أصداءُ

(١) ... وبزغ كوكب عرف منه الجوس ان المختص قد ولد .

بيداءُ ما في مداها ما يبين به
دربُنا ، وسماء الليل عمياءُ
جيكور مدِّي لنا باباً فندخله
أو سامرينا بنجم فيه أضواء !

٤

من الذي يسمع أشعاري ؟
فان صمت الموت في داري
والليلَ في ناري .
من الذي يحمل عبء الصليبُ
في ذلك الليل الطويل الرهيب ؟
من الذي يبكي ومن يستجيب
للجائع العاري ؟
من يُنزل المصوبَ عن لَوَحِهِ ؟
من يطرد العقبان عن جرحه ؟
من يرفع الظلماء عن صبحه ؟
ويُبدل الاشواكَ بالغارِ ؟
أواه يا جيكور لو تسمعين !
أواه يا جيكور .. لو توجدين !

(١) وألبسوا المسيحَ تاجاً من الشوك .. سخريّةً به .

لو تنجبين الروح ، لو تجهضين
كي يبصر الساري
نجماً يضيء الليل للتائبين .

٥

نَزَعُ وَلَا مَوْتُ ،
نُطِقُ وَلَا صَوْتُ ،
طَلَقُ وَلَا مِيلَادُ
من يصلب الشاعرَ في بغداد ؟
من يشتري كَفَّيْهِ او مُقَلَّتِيهِ ؟
من يجعل الاكليلَ شوكاً عليه ؟
جيكور يا جيكور
شدت خيوطُ النور
أرجوحة الصُّبْحِ
فاولمي للطيور
والنملِ من جرحي

هذا طعامي أيها الجائعون
هذي دموعي ايها البائسون
هذا دعائي ايها العابثون

أن يقذف البركانُ نيرانَهُ ،
أن يُرسل الفراتُ طوفانَهُ ،
كي تُشرق الظُّلمةُ ،
كي نعرف الرحمة ؛
جيكور يا جيكور
شدتْ خيوط النور
أرجوحة الصبحِ -
فأولمي للطيور
والنملِ من جرحي !

٦

هذا حرائي^١ حاكت العنكبوتُ
خيطاً الى بابه
يهدني إليَّ الناس . إني أموت
والنور في غابه
يُلقي دنائير الزمان البخيلُ
من شرفةٍ في سعفات النخيل
جيكور ، يا جيكور : خلُّ وماءُ

(١) حراء ، الفار الذي هبط فيه الوحي على النبي محمد . حين هاجر النبي
الى المدينة اختبأ - والمشركون جادون في أثره - في غار حكاكت العنكبوت
بيتها على بابه فبدا مهجوراً ولم يهتد المشركون الى حياً محمد به .

ينساب من قلبي ،
من جرحي الواري ،
من كل أغواري
أواه يا شعبي
جيكور ، يا جيكور هل تسمعين ؟
فلتفتحي الأبواب للقاتحين
ولتجمعي أطفالك اللاعبين
في ساحة القرية هذا العشاء
هذا حصاد السنين
ألماء خمر ، والخوابي غذاء
هذا ربيع الوباء .

٧

أقوى من الأسوار هذا الجواد
« أقوى جواد الحُلم الأشهب »
لان الحديد المغتذي بالحديد
وانخذل الموكب
جيكور ، ماضيك عاد

(١) .. وأحال المسبح للماء الى خمر. فشرّب الحاضرون .

هذا صياحُ الديك ذاب الرقاد
وعدتُ من معراجي الأكبر
أشمس أمُ السنبُل الاخضر
خلف المباني ، رغيفُ
لكنها في الرصيف
أغلى من الجوهر
والحُبُّ « هل تسمعين
هذا الهتافَ العنيف ؟
ماذا علينا ؟ إن عبد اللطيفُ
يدري نانا ما الذي تحذرين ؟ »
وانخطفتُ روحي ، وصاح القطارُ
ورقرقت في مقلتيّ الدموع
سحابةً تحملني ، ثم سار
يا شمس أيامي ، أما من رجوع ؟
جيكور ، نامي في ظلام السنين ..

(١) اقرأ مذكراتي «كنت شيوعياً» المنشورة في جريدة الحرية المراقبة.

رؤيا في عام ١٩٥٦

حطت الرؤيا على عيني صقراً من لبيب
انها تنقض ، تجتث السواد
تقطع الاعصاب تمتص القذى من كل
جفن ، فالمغيب
عاد منها توأماً للصبح - أنهار المداد
ليس تظفي غلة الرؤيا : صحارى من نجيب
من جحور تلفظ الاشلاء ، هل جاء المعاد ؟
أهو بعث ، أهو موت ، أهني نار أم رماد ؟
أيها الصقر الالهي الغريب
أيها المنقض من أولب في صمت المساء
رافعاً روجي لأطباق السماء
رافعاً روجي - غنيميداً جريحا ،
صالباً عيني - تموزاً ، مسيحا ،

(١) غنيميد راع يوناني شاب وقع زيوس كبير آلهة الاولب الاغريقي في
حبه ، فأرسل صقراً اختطفه وطار به اليه

أيها الصقر الالهيّ ترفّقْ
إن روعي تتمزق ،
إنها عادت هشيماً يوم أن أمسيت ريحا

في غيمة الرؤيا
يوم بلا ميعاد
جنكيز هل يحيا
جنكيز في بغداد ؟
عينٌ بلا أجفانُ
تمتدّ من روعي
شدقٌ بلا أسنانُ
ينداح في الريح
يعوي أنا الانسانُ

٢

يا جواداً راكضاً يعدو على جسمي الطريح
يا جواداً ساحقاً عينيّ بالصخر الستابك
رابطاً بالأربع الأرجل قلبي
فاذا بالنبض تقرُّ للدرايك
واذا بالنار دربي

سَحَّتْ الرُّؤْيَا ضِيَاءَ مَنْ لَظَاهَا
صَابِغاً مَا تَبْصُرُ الْعَيْنُ الْقَرِيحَ
مَازِجاً بِالشَّيْءِ ظِلَّهُ
خَالِطاً فِيهَا يَهُوداً بِالْمَسِيحِ ،
مُدْخِلاً فِي الْيَوْمِ لَيْلَهُ
بَانِيّاً فِي عُرْوَةِ الْمَهْدِ الضَّرِيحِ
أَلْدِمَاءِ
أَلْدِمَاءِ
أَلْدِمَاءِ
وَحَدَّتْ بِالْمُجْرِمِينَ الْإِبْرِيَاءِ ،
نَصَبَتْ فِي شِدْقِيهِ الذَّنْبَةَ كَرْسِيَّ الْقَضَاءِ ،
مَاذَا جَنَى شَعْبِي ؟
حَلَّتْ بِهِ اللَّعْنَةُ
مَنْ زَادَهُ الْحَنَهُ ،
رَحْمَاكَ يَا رَبِّي
مَنْ مَاتَهُ الدِّيدَانُ
مَنْ لَبَسَهُ الْأَكْفَانُ
مَنْ طِيرَهُ الْغُرْبَانُ
يَنْقَرْنَ فِي قَلْبِي
وَالْيَوْمَ فِي بَيْدَرِي

لم يبقَ من حبي
شيءٌ - هنا حبتان
فأمطري أمطري
وإن يكن نيرانُ
وأثمري أثمري
وإن يكن ثعبان

٣

ما الذي يبدو على الأشجار حولي من ظلال ؟
منجلٌ يبحثُ أعراق الدوالي
قاطعاً أعراق تموز الدفينه
وعلى القنبِ أشلاء حزينه
رأس طفلٍ سابح في دمه
نهد أمٍ تنقر الديدان فيه ، في سكينه ،
أي آهٍ من دمٍ في فمه ؟
ما الذي ينطف من حلمته ، من لحمه ؟
يا حبال القنبِ التفّي كحيات السعير-
واختقي روحي وخليّ الطفل والام الحزينه ؟
يا حبالاً تسحب الموتى الى قبرٍ كبير-
- جفنةٍ قد هياؤها للوليمه -

يا حبلاً تسحب الأحياء - من شيخٍ كبيرٍ ،
من فتاةٍ أو عجوزٍ ، من ضلوعٍ حطموها
علّقت فيها تيمه ،
من صدورٍ مزّقوها ،
زرعوا فيها بذوراً من رصاصٍ ، من حديد
ما الذي تثمر هاتيك البذور
غير أحجار القبور ؟
غير تفاح الصديد ؟

٤

تموز هذا ، أتيس^١
هذا ، وهذا الربيع
يا خبزنا يا أتيس ،
أنبت لنا الحب وأحيى اليبس
إلتأم الحفل وجاء الجميع
يقدمون النذور ،
يحيون كل الطقوس

(١) أتيس يقابل تموز الإله البابلي عند سكان آسيا الصغرى القدماء
يحتفل بعبده في الربيع ، حيث يربط تمثاله على ساق شجرة . وحين تبلغ الحبة
أوجها عند اتباعه وعباديه ، يرحلون أنفسهم بالسيوف والمدى حتى تسيل
دماؤهم قربانا دلالة الحصب .

ويبذرون البذور
سيقان كل الشجر
ضارعة ، والنفوس
عطشى تريد المطر
شدوا على كل ساق
يا رب ، تمثالك
فلتسق كل العراق
فلتسق فلاحيك ، عمالك
شدوا على كل ساق
أواه ، ما شدوا ؟
أواه ، ما سمروا ؟
أغصان زيتوننا أثقلها الورد
ورد الدم ، الأحمر
شدوا على كل ساق
يا رب تمثالك
فاسمع صلاة الرفاق
ولترع فلاحيك ، عمالك
تمثالك البعل
تمثالك الطفل
تمثالك العذراء

تمتلك الجانون والأبرياء
تمتلك الأمّ الشماليه ،
لأنها ليست شيوعيه
يُقطع نهذاها
تُسمل عيناها ،
تُصلب صلباً فوق زيتونه ،
تهزها الريح الجنوبيه
تمتلك الآلاف ، مجنونه
من رعبها ، تمتلك الأحمر
كأنه الشقيق^١ اذ يُزهر

٥

عشتار^٢ على ساق الشجره
صلبوا ، دقوا مسامرا
في بيت الميلاد - الرّحيم -
عشتار بحفصة^٣ مستتره
تدعى لتسوق الامطارا
تدعى لتُساقَ الى العدم -

-
- (١) في الاساطير البابلية ان دم تموز القتل اصبح شقائق .
(٢) إلهة الخصب والحب عند البابليين وهي جيبية تموز .
(٣) حفصة احدى شهيدات مذبحه الموصل .

عشتار العذراء الشقراء مسيل دم .
صلّوا هذا طقس المطر .
صلّوا هذا عصر الحجر
صلوا ، بل أصلوها نارا
تموز تجسّد مسمارا
من حفصة يخرج والشجره .
ألنهد الأعذر فاض ليطعم كل فم .
خبز الألم .
« الأقة » ، صاح القصاب ،
« من هذا اللحم بفلسين » ،
إقطع من لحم النهدين .
اللحم لنا ، والاثواب -
ستكون لمسح السكينة
من آثار دم الاطفال .
من آثار دم المسكينة
فلتحي زنود العمال
في قلبي دمدم زلزال
فجنائن بابل تندثر ،
في قلبي يصرخ أطفال ،
في قلبي يختنق القمر .
الظلمة تعبس في قلبي .

والجوه رصاص
والريح تهبُّ على شعبي
والريح رصاص
أواه لقد هجم التتر
فالصبح رصاص
والليل رصاص

٦

رأسه

رأسه

الرؤيا تلمح كالقلم
في بحر يُزبد غضباناً ،
طوراً للاغوار وأحياناً
يعلو فنراه ، وفي سمعي
أصداء تصمت أو تعلق ،
ويباني يغمض او يجلو

أيّ حشد من وجوه كالحات ،
من أكفٍ كالتراب
نبتها الأجرّ والفولاذ كالأرض الياب ؟

أيّ حشد من ذئاب ؟
يطعمون الجو ريح المعطر ؟

أي نعشٍ ، أي شكوى ، أي دمعٍ من نساء ثاكلات ؟
أي جمعٍ من عذارى نادبات
أي موتٍ مثكل
يا لعشارَاتنا يبكينَ تموز القليل .

ألعاذر قام من النعش -
شخنوبُ العاذر قد بعثا
حيّاً يتقافز أو يمشي
كم ظلّ هناكَ وكم مكثا
أترى عاماً ام عامين ؟
أم دامت ميته ساعه ؟
شخنوب العامل ، من راعه ؟
فتنكر للدينارين
وتواثب يركض مذعورا ؟
الموت الزائف تخاتمةُ
لحياة زائفة مثله ،
والبعث الزائف عاقبةُ
لموت الزائف من قبله

(١) العاذر الميت الذي احياه الطبيب من عذبة شخنوب مير عامل
السمنت الذي استأجره القوضيون ، فنظّمه بالموت وجمّله في النعش تشهيراً
بالجيش « الذي يقتل الممال » كما قالوا ، ثم قام ماشياً عين سقط-النعش .

٧

ولفني الظلام في المساءُ
فامتصت الدماء
صحراءُ نومي تُنبت الزهَرَ ؛
فإنما الدماء
توائم المطر



قارئ الدم

أنا ايها الطاغوت مقتحم الرّجاج على الغيوب
أبصرت يومك وهو يأزف

هذه سحب الغروب

يتوهج الدم في حفايفها وتنتثر في الدروب
شفق البنفسج والورود ولون اردية الضحايا
فتشع اعمدة عوابس ، والرصيف من الصبايا
والنسوة المتهامسات كحقل قمح ، والسطوح
كان بابل اودعتها من جنائنها بقايا
لو أن غرساً كان من بشر ، واسمع من يصيح
« هوذا يساق الى الحساب » كان أعراق المغيب
قطعت فصاح ، كان صوتاً على لظى حملته ريح
من كل أودية الجحيم - هواه ... - !

إني شهدت سواك ينسفه اختناقٌ للصدر
بغيتها ، وسمعت قففة الضحايا في القبور

ودم الحوامل وهو تشربه الأجنّة في دجاها
فسمعت وقع خطاك خائفة تجر الى السعير
حطام جسمك ، والسعيرُ مدى تراها
تحتزّ من قصبات صدرك ثار كل دم العصور ؛
إني أكلت مع الضحايا في صحاف من دماء ،
وشربت ما ترك القم المسلول منه على الوعاء ،
وشممتُ ما سلخ الجُذام من الجلود على ردائي ،
ونشقت ماء جوارب السجناء في نفس الهواء
فشممت فيه دخان دارك واحتراق بيك فيها
وشواء لحم بنيك ، لولا ان شيمة محرقها
ألا يذوق الأبرياء جزاء غير الأبرياء .
إني شبتت مع الجياع ، مع الملايين الفقيره
فعرفت اسراراً كثيره
كل اختلاجات القلوب وكل ألوان الدعاء
إغضاءة المقل الضريرة
يتطلع الدم في ظلام جفونهنّ الى الضياء ،
والحاملات نذورهنّ الى قبور الاولياء
الموقدات شموعهنّ تلقّ ألسنها الكثيره
كيسر الرغيف ويعتصرن دم الثدي الى الذماء
وتأوّه المستنقعات وزفة البرديّ فيها

وطنين أجنحة البعوض كأن غرقى ساكنيها
يتنفسون من القرار ويضرعون الى السماء
أن ينجو الاطفال من غرق وحسى في الهواء ،
وملاة الاكواخ تشرب كل امطار الشتاء
حتى تغص بها فللقصب النقيع بكل ماء
شهقات محتضر يُغر وإن تقياً بالدواء ،
وتنهّد الاشجار عطشى يابسات في الظهيره
تتكسرّ الورقات فيها والمناقير الصغيره ،
فكان مقبرة الهجيره
تمتصُّ من رحم الحياة لتسقي الموتى عصيره

أنا قارىء الدم لا تراه وانت انت المستريحُ ،
أفلمت تجرؤ أن تحدّق فيه عليك تستريحُ
من ازديارِ دمٍ تُذرّ على جفونك منه نار
لرج يسلم مع الرقاد كأن بؤبؤك الذبيحُ ؟
قاييل حدّق في دماء أخيه أمس
وأنت يأخذك الدوارُ

من رؤية الدم وهو ينزف ثم يركد فالغبار
من تحته كفم الرضيع له اختلاج وافترار
أتخاف ان تطأ النبوءة مقلتيك « هو الدمار »

أَتخاف منها أن تفرّ كان سرب قطا يثارُ
فأنت من هلع تخضّ الى المشاش « هو الدمار »
إني خبرت الجوع يعصر من دمي ويمصّ مائي
وعرفت ما قلق الطريد يكاد كل فم ورأى
يعوي بـ « ها هوذا » وتوشك كل عين ألتقيها
أن يومض اسمي في قرارتها وجهلي بالدروب
ولست أسأل عابرها عن بعيد عن قريب
من منتهاها واكتئابي والحنين مع الغروب
وتوقع المتعقبين خطاي أحسب في صداها
وقع الخطى وأكاد التفت التفاتة مُستريبٍ
ألا تشدّ يدُ على كتفي، وأوشك ان أراها
أعرفتَ ذاك؟ فسوف تعرف منه دنيا في مداها
تصطفّ أعمدةٌ عوابسُ ثم تسمع من يصيحُ
« هوذا يساق الى الحساب » كأنما اطّرحت رداها
جثثُ القبور، كان صوتاً من لظى حملته ريح
من كل أودية الجحيم هوا... ه !

ثعلبُ الموت

كم يُمضُّ الفؤادَ أن يُصبحَ الإنسانَ صَيْدًا لرميةِ الصيِّادِ؟
مثل أيِّ الطبَّاءِ ، أيِّ العصافيرِ ، ضعيفا
قابعا في ارتعادةِ الخوفِ، يختضُّ ارتياعاً ، لأنَّ ظلًّا مخيفا
يرتمي ثمَّ يرتمي في اتِّئادِ
ثعلبُ الموتِ ، فارسُ الموتِ ، عزرائيلُ يُدنو ويشحذُ
النَّصْلَ آه
منه آهٍ ، يصكُّ أسنانه الجوعى ويرنو مهدِّداً يا إلهي
ليت أن الحياة كانت فناء
قبل هذا الفناءِ ، هذي النهايه ،
ليت هذا الختامَ كان ابتداء
واعذابه، إذ ترى أعينُ الأطفالِ هذا المهدِّدَ المستبيحا ،
صابغاً بالدماءِ كفيئهِ ، في عينيه نارٌ وبين فكَّيه نارٌ
كم تلوَّتْ أكْفهم واستجاروا ،
وهو يدنو .. كأنه احتثَّ ريجا ،
مستبيحا ،

مستبيحاً ، مهدداً ، مستبيحاً
من رآها، دجاجة أريف، إذ يُمسي عليها المساءُ في بُستانه؟
حين ينسلُّ نحوها الثعلبُ الفراس، يا للصريف من أسنانه!
وهي تختضُّ، شلها الرعبُ، أبقاها بحيثُ الردى -
كأنَّ الدروبَ

استلها ماردٌ، كأنَّ النيوبا
سور بغداد موصل الباب، لا منجى لديه ولا خلاصٌ ينال.
هكذا نحن حيناً يُقبلُ الصيادُ عزريلُ
رجفةً فاغتيالُ



المبغى

بغداد؟ مبغى كبير
(لواظف المغنبيه
كساعة تتك في الجدار
في غرفة الجلوس في محطة القطار)
يا جثة على الثرى مستلقيه
الدود فيها موجة من اللهب والحريه

بغداد كابوس: (ردى فاسد
يجرعه الراقد
ساعاته الايام، ايامه الاعوام، والعام نير
العام جرح ناغر في الضمير)

عيون المها بين الرصافة والجسر
ثقوب رصاص رقت صفحة البدر؛

(١) كتبت في العهد الباد.

ويسكب البدر على بغداد ؟
من تُقْبِي العينين شلاًّلاً من الرمادُ
الدور دارٌ واحده ،
وتُعصر الدروب ، كالحبوط ، كلُّها
في قبضةٍ مارده
تمطُّها ، تشلُّها ،
تُحيلها درباً الى الهجير
وأوجه الحسان كلُّهنَّ وجه « ناهده »
(حبيبتى التى لُعابها عَسَلُ ،
صغيرتى التى أردافها جبل
وصدرها قَلل)

ونحن في بغداد ؟ من طينِ
يعجنه الخزافُ تمثالا ،
دنيا كاحلام المجانين
ونحن ألوانٌ على لجِّها المرتجُّ أشلاءً وأوصالا

بالأمس كان العيد ، عيد الزهورُ
الزادُ تحنوه الربى ، والخبور ،
والرقص ، والأغنيات

والحب ، والكركرات
ثم انتهى الا بقايا طيور
تلتقط الحَبَّ ، وإلاّ دماء
مما نماه الحقلُ طيرٌ وشاء
وغير أطفال يطوفون أور

– « ألعيدُ ، من قال انتهى عيدُك ؟ »
فلتملاً الدنيا أناشيدُها
فالأرض ما زالت بعيدٍ تدور..
بالأمس كان العيد ، عيد الزهور
واليوم ؟ ما نفعلُ ؟
تزرعُ أم تقتلُ ؟

أهذه بغداد ؟
أم أن عاموره
عادت فكان العبادُ
موتاً ؟ ولكنني في رنة الأصفادُ
أحسستُ .. ماذا ؟ صوتَ فاعوره
أم صيحة النُسخ الذي في الجنور ؟

النهر والموت

بُويِبُ

بُويِبُ

أجراسُ بُرجٍ ضاع في قرارة السَّجَرِ ،
ألماءُ في الجرارِ ، والغروبُ في الشَّجَرِ
وتنضحُ الجرارُ أجراساً من المطرِ

بلُورها يذوبُ في أنينِ

« بُويِبُ يا بُويِبُ ! » ،

فَيَدْلِهِمْ في دمي حينِ

إليكَ يا بُويِبُ ،

يا نهريَ الحزينَ كالمطرِ

أودُّ لو عدوتُ في الظلامِ

أشدُّ قبضتيَّ تحملانِ شوقَ عامِ

في كلِّ إصبعٍ ، كاني أحملُ النَّدورَ

إليكَ ، من قحِ ومن زهورِ

أودُّ لو أطلُّ من أسرةِ التلالِ

لألمحَ القمَرَ

يخوض بين ضفتيك ، يزرع الظلال
 ويملاً السلال
 بالماء والأسماك والزهر
 أودُّ لو أخوض فيك ، أتبعُ القمر
 وأسمعُ الحصى يصلُّ منك في القرار
 صليلَ آلافِ العصافير على الشجر .
 أغابةٌ من الدموعِ أنت أم نهر ؟
 والسَّمكُ الساهرُ ، هل ينام في السَّحر ؟
 وهذه النجومُ ، هل تظلُّ في انتظار
 تُطعمُ بالحريرِ آلافاً من الإبر ؟
 وأنتَ يا بُوَيْبُ
 أودُّ لو غرقتُ فيك ، ألقِطُ المحارُ
 أشيدُ منه دار
 يُضيءُ فيها خضرةَ المياهِ والشجر
 ما تنضحُ النجومُ والقمر ،
 وأغتدي فيك مع الجزرِ إلى البحر !
 فالموت عالمٌ غريبٌ يفتنُ الصغار ،
 وبابه الخفي كان فيك ، يا بُوَيْبُ

٢

بُوَيْبُ يَا بُوَيْبُ ،

عشرون قد مضين ، كالدهور كل عام .
واليوم ، حين يُطبقُ الظلامُ
وأستقرُّ في السرير دون أن أنام
وأرهِفُ الضميرَ : دوحَةً إلى السَّحَرِ -
مرهفة الغصونِ والطيورِ والثمرِ -
أحسُّ بالدماءِ والدموعِ ، كالطرِّ
ينضحُّنَّ العالمُ الحزينُ
أجراس موتى في عروقي تُرْعشُ الرنينُ ،
فيدلهمُ في دمي حنين
إلى رصاصةٍ يشقُّ ثلجها الزُّوَامُ
أعماقَ صدري ، كالجحيمِ يُشعلُ العظامَ .
أودُّ لو عدوتُ أعضدُ المكافحينُ
أشدَّ قبضتيَّ ثم اصفعُ القدرَ
أودُّ لو غرقتُ في دمي إلى القرارِ ،
لاحملَ العبءَ مع البشرِ
وأبعثَ الحياةَ . إنَّ موتى انتصار !

الريحُ بعدَ الصَّلبِ

بعدهما أنزلوني ، سمعتُ الرياحُ
في نواحٍ طويلٍ تسفُّ النخيلُ ،
والخطى وهي تنأى إذن فالجراحُ
والصليبُ الذي سمروني عليه طوال الأصيلُ
لم تُمتني . وأنصتُ كان العويلُ
يعبر السهلَ بيني وبين المدينة
مثل جبلٍ يشدُّ السفينه
وهي تهوي الى القاع كان النواح
مثل خيطٍ من النور بين الصباح
والدجى ، في سماء الشتاء الحزينه
ثم تغفو ، على ما تُحسُّ ، المدينة

حينما يزهر التوتُ والبرتقالُ ،
حين تمتدُّ « جيكور » حتى حدودِ الخيالِ ،
حين تخضرُّ عُشباً يغني شذاها

والشموس التي أرضعتها سناها ،
حين يخضرُّ حتى دجاها ،
يلمس الدفءُ قلبي ، فيجري دمي في ثراها
قلبيَ الشمسُ اذْ تنبضُ الشمسُ نورا ،
قلبيَ الارضُ ، تنبضُ قحاً ، وزهراً ، وماءً نيرا ،
قلبيَ الماءُ ، قلبي هو السنبُلُ
مَوْتُهُ البعثُ يحيا بمن يأكلُ
في العجين الذي يستديرُ
ويدحى كنهدي صغير ، كشدِّي الحياه ،
متُّ بالنار أحرقت ظلماءَ طيني ، فضلَّ الإله
كنتُ بدءاً ، وفي البدء كان الفقير
متُّ ، كي يؤكلَ الخبزَ باسمي ، لكي يزرعوني مع الموسمِ ،
كم حياةٍ ساحيا ففي كلِّ حفرة
صرتُ مستقبلاً ، صرتُ بذره ،
صرتُ جيلاً من الناس ، في كل قلبٍ دمي
قطرةٌ منه او بعضُ قطره .

هكذا عدتُ ، فاصفرُّ لما رأني يهوذا
فقد كنتُ سرِّه
كان ظلاً ، قد اسودَّ ، منِّي ، وثمانلِ فكره

جُئِدْتُ فِيهِ وَاسْتُلِّتِ الرُّوحَ مِنْهَا ،
خَافُ أَنْ تَفْضَحَ الْمَوْتَ فِي مَاءِ عَيْنَيْهِ ...
(عِيَاةُ صَخْرِهِ)

رَاحَ فِيهَا يُوَارِي عَنِ النَّاسِ قَبْرَهُ)
خَافُ مِنْ دَفْنِهَا ، مِنْ نُحَالٍ عَلَيْهِ ، فَخَبَّرَ عَنْهَا
- « أَنْتَ ؟ أَمْ ذَاكَ ظِلِّي قَدْ أبيضٌ وَارْفِضْ نورا ؟
أَنْتَ مِنْ عَالَمِ الْمَوْتِ تَسْعَى ؟ هُوَ الْمَوْتُ مُرَّةً
هَكَذَا قَالَ آبَاؤُنَا ، هَكَذَا عَلَّمُونَا ، قَهْلَ كَانَ زورا ؟ »
ذَاكَ مَا ظَنُّنَا لَمَّا رَأَيْنَا ، وَقَالَتْهُ نَظْرَهُ

قَدَمٌ تَعْدُو ، قَدَمٌ ، قَدَمٌ ،
أَلْقَبِرْ يَكَادُ بَوَاقِ خَطَايَا يَنْهَدِمُ .
أَتَرَى جَاءُوا ؟ مِنْ غَيْرِهِمْ ؟
قَدَمٌ .. قَدَمٌ . قَدَمٌ
أَلْقَيْتُ الصَّخْرَ عَلَى صَدْرِي ،
أَوْ مَا صَلْبُونِي امسِ ..؟ فَهَا أَنَا فِي قَبْرِي
فَلْيَأْتُوا - إِيَّيَ فِي قَبْرِي
مَنْ يَدْرِي أَنِي ...؟ . مَنْ يَدْرِي !؟
وَرَفَاقُ يَهُودَا ؟! مَنْ سَيَصْدُقُ مَا زَعَمُوا ؟
قَدَمٌ قَدَمٌ

ها أنا الآن عريانُ في قبري المظلم
كنتُ بالأمس ألتفُّ كالظنُّ ، كالبرعم ،
تحت أكفاني الثلجِ ، يخضلُّ زهرُ الدمِ ،
كنتُ كالظلُّ بين الدجى والنهار -
ثم فجَّرتُ نفسي كنوزاً فعريتها كالثمار
حين فصلتُ جيبي قاطأً وكسي دثار ،
حين دقَّتْ يوماً بلحيمي عظامَ الصغار ،
حين عريتُ جرحي ، وضمت جرحاً سواه ،
حطَّم السورُ بين وبين الإله

فاجأ الجندُ حتى جراحي ودقات قلبي
فاجأوا كلَّ ما ليس موتاً وإن كان في مقبره
فاجأوني كما فاجأ النخلةَ المشره
سربُ جوعى من الطير في قريةٍ مقفره

أعينُ البندقيات يا كلنَ دربي ،
شُرِّعٌ تحلم النارُ فيها بصلبي ،
إن تكن من حديدٍ ونارٍ ، فأحداقُ شعبي
من ضياء الساعات ، من ذكرياتٍ وحبِّ
تحمل العبءَ عني فيندى صليبي ، فما أصغره

ذلك الموتُ ، موتي ، وما أكبره !

بعد أن سمروني وألقيتُ عينيَّ نحو المدينة
كدتُ لا أعرف السهلَ والسهولَ والمقبرة :
كان شيءٌ ، مدى ما ترى العينُ ،
كالغابة المزهره ،
كان ، في كلِّ مرمى ، صليبٌ وأمُّ حزينه
قُدسُ الربِّ !
هذا مخاضُ المدينة .



مَدِينَةُ السِّنْدِيَاو

جوعانٌ في القبر بلا غذاءُ
عريانٌ في الثلج بلا رداء
صرختُ في الشتاء
أقيضُ يا مطرُ
مضاجع العظام والثلوج والهباءُ ،
مضاجع الحجر ،
وأنبتِ البذور ، ولفَّتِحِ الزَّهْر ،
وأحرقِ البيادرَ العقيمَ بالبروقُ
وفجِّرِ العروقُ
وأثقلِ الشجرُ
وجئتَ يا مطرَ ،
تفجَّرتُ تنثك السَّهْمُ والغَيُومُ
وشقِّقِ الصخرَ ،
وفاضِ ؛ من هباتِك ، الفراتُ واعتكر
وهبتِ القبورُ ، هزَّ موتها وقامُ

وصاحتِ العظام
تبارك الاله ، واهبُ الدمِ المطر
فاهِ يا مطرُ !

نودُ لو ننامُ من جديدٍ ،

نودُ لو نموتُ من جديدٍ ،

فنومنا براعمُ انتباه

وموتنا يخبئ الحياه ؛

نودُ لو أعادنا الإله

الى ضمير غيبه الملبّد العميق ؛

نودُ لو سعى بنا الطريق

الى الورا ، حيث بدؤه البعيد .

من أيقظَ « العازر » من رقاده الطويل ؟

ليعرف الصباح والأصيل

والصيفَ والشتاءَ ،

لكي يجوع أو يُحسَّ جمرَةَ الصدى ،

ويحذر الردى ،

ويحسب الدقائق الثقال والنبراع

ويمدح الرعاع

ويسفك الدماء !

من الذي أعادنا ، أعاد ما نخاف ؟

من الإلهُ في ربوعنا ؟
تعيش ناره على شموعنا
يعيش حقه على دموعنا

٢

أهذا أدونيس ، هذا الحواء ؟
وهذا الشجوب ، وهذا الجفاف ؟
أهذا أدونيس ؟ أين الضياء ؟
وأين القطف ؟

مناجلُ لا تحصد ،
أزاهرُ لا تعقد ،

مزارعُ سوداء من غير ماء !

أهذا انتظار السنين الطويله ؟

أهذا صراخ الرجوله ؟

أهذا أنينُ النساء ؟

أدونيس ! يا لاندحار البطوله .

لقد حطّم الموتُ فيك الرجاءُ

وأقبلتَ بالنظرة الزائغة

وبالقبضة الفارغه :

بقبضة تهدد

ومنجل ، لا يحد
سوى العظام والدم
أليوم ؟ والغد ؟
متى سيولد ؟
متى سنولد ؟

٣٣

الموتُ في الشوارع ،
والعقم في المزارع ،
وكلُّ ما نجبه يموتُ
ألماء قيّدوه في البيوتُ
وأهتَ الجداولَ الجفافُ
هُمُ التنازُ أقبلوا ، ففي المدى رَعافُ ،
وشمسنا دمٌ ، وزادنا دمٌ على الصّحافِ
محمّدُ اليتيمُ أحرقوه فإلّساءُ
يضيءُ من حريقه ، وفارتِ النماءُ
من قدميه ، من يديه ، من عيونهِ
وأحرق الإله في جفونهِ
محمّدُ النبيُّ في « حراء » قيّدوه
فسمّرَ النهارُ حيث سمّروه .

غداً سيُصلبُ المسيحُ في العراقِ ،
ستاكل الكلابُ من دم البراقِ ' .

٤

يا أيها الريحُ
يا أيها الريحُ ما النبي دهاكُ ؟
جئتَ بلا مطر
جئتَ بلا زهر ،
جئتَ بلا ثمر ،
وكان منتهاكَ مثل مبتداكُ
يلفُّه النجيم ...
وأقبل الصيفُ علينا أسودَ الغيومِ
نهاره هموم ،
وليله نسهر فيه نحسب النجوم ؛
حتى إذا السنابلُ
نضجت للحصادُ
وغنت المناجلُ
وغطت البيادرُ الوهادُ ،

(١) الجواد الذي أسرى عليه النبي محمد من المسجد الحرام الى المسجد
الاقصى ، ليلة معراجهِ .

خَيْلٌ لِلجِياعِ أَنْ رَبَّةَ الزَّهْرُ ،
عُشْتار ، قد أعادت الأسير للبشر ،
وكلت جبينه الغضير بالثمر ،
خَيْلٌ لِلجِياعِ أَنْ كاهل المسيح
أزاح عن مدفنه الحجر
فسار يبعث الحياة في الضَّرِيحُ
وُيرىءُ الأبرصَ أو يجددُ البصر ؟
من الذي أطلق من عقالها الذئاب ؟
من الذي سقى من السَّراب ؟
وخبأ الوباءَ في المطر ؟
ألموتُ في البيوتُ بولدُ ،
يولد قاييلُ لكي ينتزع المياه
من رَحِيمِ الارضِ ومن منابع المياه ،
فيُظلمُ الغدُ
وتُجهضُ النساءُ في المجازر ،
ويرقصُ اللهبُ في البيادر ،
ويهلكُ المسيحُ قبل العازر ؛
دعوه يرقدُ ،
دعوه فالمسيحُ مادعاه !

ما تبتغون ! لحمه المُقَدَّدُ
يُباع في مدينة الخُطاه ،
مدينةِ الحبال والدماء والخمور ،
مدينة الرصاص والصخور !
أمس أزيح من مداها فارس النُّحاس ،
أمس أزيح فارسُ الحجر ،
فران في سمائها النعاس
ورنق الضجر ،
وجال في الدروب فارسٌ من البشر
يقتل النساء
ويصبع المهودَ بالدماء
ويلعن القضاء والقدر !

٥

كانَ يابل القديمة المسوره
تعود من جديد ،
قباها الطوال من حديد
يدقّ فيها جرسٌ كانَ مقبره
تئنّ فيه ، والسماء ساحُ مجزره

جنانها المعلقات زرعها الرؤوس
تجزؤها قواطع الفؤوس ،
وتنقر الغربان من عيونها ،
وتغرب الشمس
وراء شعرها الخضيب في غصونها
أهذه مدينتي ؟ أهذه الطلول
خطّ عليها « عاشت الحياه »
من دم قتلها ؛ فلا إله
فيها ، ولا ماء ، ولا حقول ؟
أهذه مدينتي ؟ خناجر التتر
تُغمد فوق بابها ، وتلث الفلاه
حول دروبها ، ولا يزورها القمر ؟
أهذه مدينتي أهذه الحُفر
وهذه العظام ؟
يطلُّ من بيوتها الظلام
وتُصبغ الدماء بالقتام
لكي تضيع ، لا يراها قاطع الأثر ؟
أهذه مدينتي ؟ جريحة القباب
فيها يهوذا أحمر الثياب
يسلّط الكلاب

على مهود إخوتي الصغار . . والبيوت ،
تأكل من لحومهم وفي القرى تموت
عشتار عطشى ، ليس في جبينها زهر ،
وفي يديها سلة ثمارها حجر ،
ترجم كل زوجة به وللنخيل
في شطها عويل .



١٤٧

النشوة المطر

عينك غابتا نخيل ساعة السحر ،
أو شرفتان راح ينأى عنها القمر
عينك حين تبسمان تورق الكروم
وترقص الأضواء .. كالأقمار في نهر
يرجّه المجداف وهنا ساعة السحر
كأنما تنبض في غوريهما ، النجوم

وتغرقان في ضباب من أسى شفيف
كالبحر سرح اليدين فوقه المساء ،
دفع الشتاء فيه وارتعاشة الخريف ،
والموت ، والميلاد ، والظلام ، والضياء ؛
فتستفيق ملء روعي ، رعشة البكاء
ونشوة وحشية تعانق السماء
كنشوة الطفل إذا خاف من القمر !
كان أقواس السحاب تشرب الغيوم

وقطرةً فقطرةً تذوب في المطر
وكرر الأطفال في عرائش الكروم ،
ودغدغت صمت العصافير على الشجر
أنشودةُ المطر

مطر

مطر

مطر

تثائب المساء ، والغيومُ ما تزالُ
تسحُّ ما تسحُّ من دموعها الثقالُ
كانَ طفلاً بات يهذي قبل أن ينام
بانَّ أمّه - التي أفاق منذ عامُ
فلم يجدها ، ثمَّ حين لجَّ في السؤال
قالوا له : « بعد غدٍ تعودُ » -
لا بدَّ أن تعودُ

وإنَّ تهامس الرفاق أنَّها هناكُ
في جانب التلِّ تنام نومة اللّحود
تسفَّ من تراها وتشرب المطر ؛
كان صياداً حزيناً يجمع الشُّباك
ويلعن المياه والقَدَر
وينثر الغناء حيث يأفل القمر

مطر

مطر

أتعلمين أيُّ حُزْنٍ يبعث المطر ؟
وكيف تنشج المزاريب إذا انهمر ؟
وكيف يشعر الوحيد فيه بالضّياع ؟
بلا انتهاء - كالدمّ المراق ، كالجّيع ،
كالحبّ ، كالأطفال ، كالموتى - هو المطر !

ومقلّتاك بي تطيفان مع المطر

وعبر أمواج الخليج تمسح البروقُ

سواحلَ العراق بالنجوم والمحار ،

كأنها تهمّ بالشروق

فيسحب الليل عليها من دمٍ دثارُ

أصبح بالخليج « يا خليجُ

يا واهب اللؤلؤ ، والمحار ، والردي ! »

فيرجعُ الصّدى

كأنّه النّشيجُ

« يا خليج

يا واهب المحار والردي »

أكاد أسمع العراق يذخرُ الرعودُ

ويخزن البروق في السهول والجبال ،
حتى إذا ما فضَّ عنها ختمها للرجالُ
لم تترك الرياح من ثمودُ
في الوادِ من أثرُ
أكاد أسمع النخيل يشربُ المطر
وأسمع القرى تننُّ ، والمهاجرين
يصارعون بالمجازيف وبالقلوع ،
عواصف الخليج ، والرعود ، فنشدين
مطر

مطر

مطر

وفي العراق جوعُ
وينثر الغلالَ فيه موسم الحصاد
لتشبع الغربان والجراد
وتطحن الشَّوان والحجر
رحى تدور في الحقول حولها بشر

مطر

مطر

مطر

وكم ذرفنا ليلة الرحيل ، من دموعُ

ثمّ اعتلنا - خوف أن نلام - بالمطر

مطر

مطر

ومنذ أن كُنّا صغاراً، كانت السماء

تغيمُ في الشتاء

ويطّل المطر،

وكلّ عام - حين يعشب الثرى - نجوع

ما مرّ عامٌ والعراق ليس فيه جوع،

مطر ...

مطر

مطر

في كل قطرة من المطر

جمراً أو صفراء من أجنّة الزهر

وكلّ دمةٍ من الجياح والعراة

وكلّ قطرة تراق من دم العبيد

فهي ابتسامٌ في انتظار مبسم جديد

أو حُلمةٌ تورّدت على فم الوليد

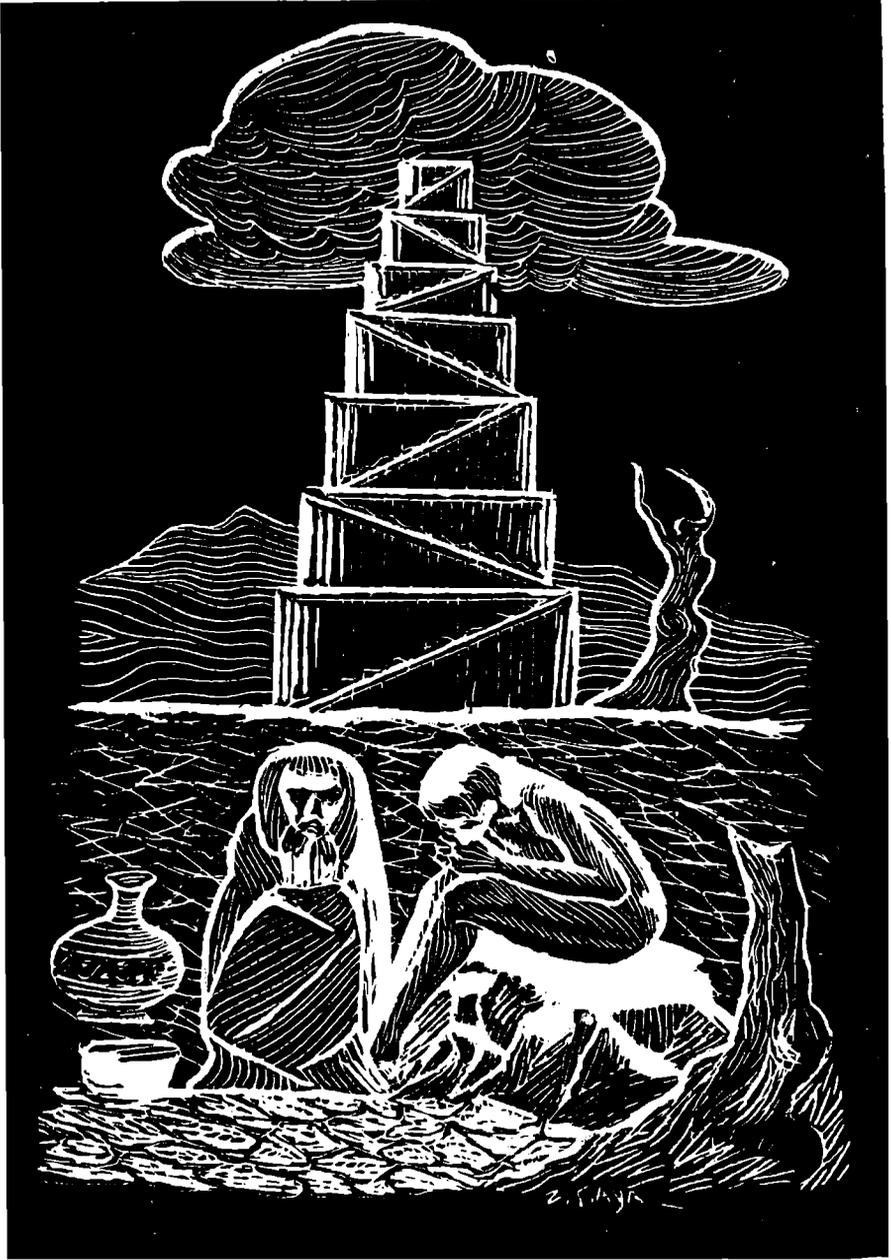
في عالم الغد الفتي، واهب الحياة!

مطر

المبسم الفتي لنا

في

مطر



مطر
سَيْعُشْبُ الْعِرَاقِ بِالْمَطَرِ

أَصِيحُ بِالْخَلِيجِ « يَا خَلِيجِ
يَا وَاهَبِ اللَّوْلُؤَ ، وَالْحَارَ ، وَالزُّرْدِي ! »
فِيرْجِعِ الصَّدَى
كَأَنَّهُ الْنَشِيحُ
« يَا خَلِيجِ
يَا وَاهَبِ الْحَارَ وَالرَّدَى
وَيَنْثُرِ الْخَلِيجُ مِنْ هِبَاتِهِ الْكَثَارُ ،
عَلَى الرَّمَالِ ، : رَغْوَهُ الْأُجَاجُ ، وَالْحَارُ
وَمَا تَبْقَى مِنْ عِظَامِ بَائِسٍ غَرِيقٍ
مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ظِلٌّ يَشْرَبُ الرَّدَى
مِنْ لِحَّةِ الْخَلِيجِ وَالْقَرَارِ ،
وَفِي الْعِرَاقِ أَلْفُ أَلْمَى تَشْرَبُ الرَّحِيحَ
مِنْ زَهْرَةِ يَرْبُهَا النَّوْاسِجُ الْبَلْبَلِيُّ .
وَأَسْمَعُ الصَّدَى
يَرْنُ فِي الْخَلِيجِ
« مَطَرُ
مَطَرُ

مطر

في كلّ قطرة من المطر
حمراء أو صفراء من أجنّة الزهَر
وكلّ دمة من الجياح والعراة
وكلّ قطرة تراق من دم العبيد
فهي ابتسامٌ في انتظار ميسمٍ جديد
أو حُلمةٌ تورّدت على فم الوليد
في عالم الغد الفتيّ ، واهب الحياة «

ويهطل المطر



سربروس في بابل

ليعور سربروس^١ في الدروب
في بابلَ الحزينة المهدّمة
ويملاً الفضاءَ زمزمه ،
يمزّق الصّغار بالنيوب ، يقضّم العظامُ
ويشربُ القلوبُ
عيناهَ نيزكان في الظلامُ
وشدقهُ الرهيب موجتان من مُدى
تخبّيء الردى
- أشداقه الرهيبية الثلاثةُ احتراقُ
يؤجُّ في العراق -
ليعور سربروس في الدروب
وينبش الترابَ عن إلهنا الدفين

(١) الكلب الذي يجرس مملكة الموت ، في الاساطير اليونانية ، حيث يقوم عرش « برسفون » آلهة الربيع بعد ان اختطفها إله الموت . وقد صورته دانتي في « الكوميديا الالهية » حارساً ومعدّناً للارواح الخاطئة .

تَمُوزِنَا الطَّعِينِ ،
يَاكُلُهُ يَمِصُّ عَيْنِيهِ إِلَى الْقَرَارِ ،
يَقْصِمُ صَلْبَهُ الْقَوِيَّ ، يَحْطِمُ الْجَرَارِ
بَيْنَ يَدَيْهِ ، يَنْثُرُ الْوَرُودَ وَالشَّقِيقَ
أَوْأَهُ لَوْ يُفِيقُ
إِلْهِنَا الْفَتِيَّ ، لَوْ يُبْرِعُ الْحَقُولُ ،
لَوْ يَنْثُرُ الْبِيَادِرَ النَّضَارَ فِي السَّهُولِ ،
لَوْ يَنْتَضِي الْحُسَامَ ، لَوْ يَفْجُرُ الرَّعُودَ وَالْبُرُوقَ وَالْمَطَرَ
وَيُطْلِقُ السِّيُولَ مِنْ يَدَيْهِ آهٍ لَوْ يَأُوبُ !
لِحَافِنَا التَّرَابَ ، فَوْقَهُ مِنَ الْقَمَرِ
دَمٌ ، وَمِنْ نَهْدِ نَسُوةِ الْعِرَاقِ طِينٌ
وَنَحْنُ إِذْ نَبْصُ مِنْ مَغَاوِرِ السَّنِينِ
نَرَى الْعِرَاقَ ، يَسْأَلُ الصَّغَارُ فِي قُرَاهِ
« مَا الْقَمْحُ ؟ مَا الثَّمَرُ ؟ »
مَا الْمَاءُ ؟ مَا الْمَهُودُ ؟ مَا الْإِلَهُ ؟ مَا الْبَشَرُ ؟
فَكَلُّ مَا نَرَاهُ
دَمٌ يَنْزُ أَوْ حِبَالٌ ، فِيهِ ، أَوْ حُفَرَ
أَكَانَتِ الْحَيَاهُ
أَحَبُّ أَنْ تُعَاشَ ، وَالصَّغَارُ آمِنِينَ ؟
أَكَانَتِ الْحَقُولُ تَزْهَرُ ؟

أكانت السماء تُمطر؟
أكانت النساء والرجال مؤمنين
بانَّ في السماء قوَّةً تدبِّرُ ،
تُحيسُ ، تسمع الشكاة ، تبصر ،
ترقِّ ، ترحم الضَّعاف ، تغفر الذنوب؟
أكانت القلوبُ
أرقَّ ، والنفوس بالصفاء تقطرُ؟
وأقبلتُ إلهة الحصاد ،
رفيقةُ الزهورِ والمياه والطيوب ،
عشتارُ ربَّةُ الشمال والجنوب ،
تسير في السهول والوهاد
تسير في الدروب
تلقط منها لحم تُموز إذا انتثر ،
تامُّه في سلَّةٍ كأنه الثمر
لكنَّ سربروس بابل - الجحيم
يجبُ في الدروب خلفها ويركضُ ،
يمزِّق النعالَ في أقدامها ، يععضُ
سيقانها اللدان ، ينهش اليدين أو يمزِّق الرداءُ ،
يلوِّث الوشاح بالدمِ القديم
ويمزج الدم الجديدَ بالعواءُ

ليعور سوبروسُ في الدروبُ
لينهش الإلهةَ الحزينةَ ، الإلهةَ المروعةَ ؛
فأن من دمائها ستُنصبُ الجيوبُ ؛
سينبت الالهُ ، فالشرائحُ الموزعةُ
تجمعتُ ، تملتُ . سينلُدُ الضياءُ
من رَحِمٍ ينزُّ بالدماء



مَدِينَةُ بِلَا مَطَرٍ

مَدِينَتُنَا تَوْرُقُ لَيْلَهَا نَارٌ بِلَا لَهَبٍ
تُحْمُ دُرُوبُهَا وَالذُّورُ ، ثُمَّ تَزُولُ حَمَاهَا
وَيَصْبِغُهَا الْغُرُوبُ بِكُلِّ مَا حَمْنَتْهُ مِنْ سَحْبٍ
فَتَوْشِكُ أَنْ تَطِيرَ شَرَارَةٌ وَيَهَبُ مَوْتَاهَا
« صَحَا مِنْ نَوْمِهِ الطَّيْنِيُّ تَحْتَ عِرَائِشِ الْعِنَبِ
صَحَا تَمَّوزُ ، عَادَ لِبَابِلَ الْخُضْرَاءِ يِرْعَاهَا . »
وَتَوْشِكُ أَنْ تَدُقَّ طَبُولُ بَابِلَ ، ثُمَّ يَغْشَاهَا
صَفِيرُ الرِّيحِ فِي أَبْرَاجِهَا وَأَنْيُنُ مَرْضَاهَا
وَفِي غُرَفَاتِ عُشْتَارٍ
تَظَلُّ بِجَامِرِ الْفَخَّارِ خَاوِيَةً بِلَا نَارٍ ،
وَيَرْتَفِعُ الدَّعَاءُ ، كَأَنَّ كُلَّ حَنَاجِرِ الْقَصَبِ
مِنَ الْمُسْتَنْقَعَاتِ تَصِيحُ
« لَاهِئَةً مِنَ التَّعَبِ
تَوُوبُ إِلَهَةُ الدَّمِ ، خَبِزُ بَابِلَ ، شَمْسُ آذَارٍ
وَنَحْنُ نَهْمٌ كَالْغُرَبَاءِ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ

لنَسْأَلَ عَنْ هَدَايَاهَا
جِياعٌ نَحْنُ وَأَسْفَاهُ ! فَارغْتَانِ كَفَّاهَا
وَقَاسِيَتَانِ عَيْنَاهَا
وَبَارِدَتَابُ كَالذَّهَبِ
سَحَابٌ مُرْعَدَاتٌ مُبْرِقَاتٌ دُونَ إِمطَارِ
قَضِينَا الْعَامَ ، بَعْدَ الْعَامِ ، بَعْدَ الْعَامِ ، نَرَعَاهَا ،
وَرِيحٌ تُشَبِّهُ الْإِعْصَارَ ، لَا مَرَّتْ كِإِعْصَارِ
وَلَا هَدَاتٌ - نَنَامُ وَنَسْتَفِيقُ وَنَحْنُ نَخْشَاهَا
فِيَا أَرْبَابِنَا الْمُتَطَلِّعِينَ بِغَيْرِ مَا رَحِمَهُ ،
عَيُونَكُمْ الْحِجَارُ نُحْسِبُهَا تَنْدَاحٌ فِي الْعَتَمَةِ
لَتَرْجِنَا بِلَا نَقْمِهِ ؛
تَدُورُ كَأَنَّهُنَّ رَحَى بَطِيئَاتٌ تُتْلَوُكَ جَفُونِنَا
حَتَّى أَلْفُنَاهَا ،

عَيُونَكُمْ الْحِجَارُ كَأَنَّهَا لِبَنِيَاتِ أَسْوَارِ
بِأَيْدِينَا ، بِمَا لَا تَفْعَلُ الْأَيْدِي ، بِنِينَاهَا
عَذَارَانَا حَزَانِي ذَاهِلَاتٌ حَوْلَ عَشْتَارِ
يَغِيضُ الْمَاءَ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ مِنْ حَيَّاهَا ،
وُغْصَنًا بَعْدَ غْصَنِ تَذْبِيلِ الْكُرْمِ
بَطِيءٌ مُوْتِنَا الْمُنْسَلُّ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ ،
لَهُ الْوَيْلَاتُ مِنْ أَسَدٍ نَكَابِدِ شَدَقِهِ الْأَدْرَدُ !

أنا ربُّ البرق في عينيه أم من شُعلة المعبود ؟
أفي عينيه مبخرتان أوجرتا لعشتار ؟
أنا فذتان من ملكوت ذاك العالم الأسود
هنالك حيث يحمل ، كلَّ عامٍ ، جرحَه النَّاريَّ ،
جرح العالم الدوّار ، فاديهِ
ومنقذه الذي في كل عامٍ من هناك يعود بالأزهار-
والأمطار - تجرحنا يدها لنستفيق على أياديهِ ؟
ولكن مرّت الأعوام ، كثيراً ما حسبناها ،
بلا مطرٍ ولو قطره
ولا زهرٍ ولو زهره
بلا ثمرٍ - كأنّ نخيلنا الجرداء أنصابُ أقمناها
لندبل تحتها ونموت

سيدنا جفانا آمِ يا قَبْرَه
أما في قاعك الطيني من جرّة ؟
أما فيها بقايا من دماء الربِّ أو بذره ؟
حدائقه الصغيرة أمس جعنا فافترسناها
سرقنا من بيوت النمل ، من اجرانها ، دخناً وشوفاناً
وأوشاباً زرعتها
فوفّينا - وما وفّى لنا - نذره !
وسار صغار بابل يحملون سلال صبارٍ

وفاكهةٍ من الفخَّار ، قرباناً لعشَّار
ويشعلُ خاطفُ البرق ،
بظلٍّ من ظلالِ الماء والخضراء والنار ،
وجوههمُ المدوّرة الصغيرة وهي تستسقي .
فيوشك أن يفتِّح - وهي توميض - حقلُ نوَّار -
ورفَّ - كأنَّ ألف فراشةٍ نثرتُ على الأفقِ -
نشيدهمُ الصغيرُ

« قبور إخوتنا تناديننا

وتبحثُ عنكِ أيدينا

لأنَّ الخوفَ ملأُ قلوبنا ، ورياح آذار -
تهزُّ مهودنا فنخافُ والأصواتُ تدعونا
جياحُ نحن مرتجفون في الظلمه
ونبحث عن يدٍ في الليل تُطعمنا ، تغطِّينا ،
نشدُ عيوننا المتلفَّطات بزندها العاري
ونبحث عنكِ في الظماء ، عن ثديين ، عن حلمه
فيا مَنْ صدرها الأفقُ الكبير وثديها الغيِّمه
سمعتِ نشيجنا ورأيتِ كيف نموت .. فاسقينا !
نموت ، وأنتِ - وأسفاه - قاسيةٌ بلا رحمه
فيا آباءنا ، من يفتدينا ؟ من سيُحيينا ؟
ومن سيموتُ يُولمُ لحمه فينا ؟ »

وأبرقت السماءُ كأنَّ زنبقةً من النارِ
تفتِّحُ فوقَ بابلَ نفسها وأضاء واديننا ،
وغلغلَ في قرارة أرضنا وهجُ فعرّاها
بكلِّ بذورها وجذورها وبكلِّ موتّها
وسحَّ - وراءَ ما رفعته بابلُ حولَ حَمَّادِ
وحولَ تراها الظمآن ، من عمَدِ وأسوارِ
سحابُ كان لولا هذه الأسوارِ روّاها !
وفي أبديٍّ من الاصغاءِ بين الرعدِ والرعدِ
سمعنا ، لا حفيفِ النَّخلِ تحتِ العارضِ السحّاحِ
أو ما وشوشته الریحُ حيثُ ابتلَّتِ الادواحُ ،
ولكن حَفَقَةَ الاقدامِ والايدي
وكركرةً و « آه » صغيرةً قبضت بيُمناها
على قمرِ يرفرفُ كالفراشةِ ، أو على نجمه
على هبةٍ من الغيْمه ،
على رعشاتِ ماءٍ ، قطرةً همت بها نسمه
لنعلم أن بابلَ سوف تُغسلُ من خطاياها !

بور سعيد

يا حاصدَ النار من أشلاء قتلنا
منك الضحايا ، وان كانوا ضحايانا
كم من ردى في حياةٍ ، وانخزالِ ردىً
في ميتةٍ ، وانتصارِ جاء خذلانا !
إنَّ العيون التي طفقت أنجمها
عجلن بالشمس أن تختار دينا
وامتدَّ ، كالنور ، في أعماق تربتنا ،
غرُسُ لنا من دمٍ ، واخضلَّ موتانا
فازلزلني يا بقايا كاد أولنا
يُبقى عليها ، من الأصنام ، لولانا
نحن الذين اقتلعنا من أسافلها
لأهلاً وعزى ، وأعليناهُ إنسانا
حيثِ بورت سعيدٍ ، من مسيلِ دمٍ
لولا افتداءُ لما يُغليه ، ما هانا

حَيْتِ مِنْ قَلْعَةٍ صَمَاءَ نَاطِحَهَا
 عَادِ مِنَ الْوَحْشِ يَزْجِيهِنَّ قُطْعَانَا
 عَانَاكَ فِي اللَّيْلِ دَاجٍ مِنْ جَحَافِلِهَا
 نُورًا مِنْ اللَّهِ أَعْمَاهَا وَنِيرَانَا
 مَا عَادَ لَيْلٌ قَدْ اسْتَخْفَى بِأَقْدَمَةٍ
 مِنْ أَوْجُهِ النَّاسِ ، لَوْلَا أَنْتِ ، عُرْيَانَا
 لَيْلٌ تُعِيدُ الْكَهْفُ السُّودُ آيَةً
 فِيهَا وَفَكَّا لِمَوْتَاهَا وَصَوَّانَا
 مِنْ بَعْضِ مَا فِيهِ مِنْ ظُلْمَاءَ ، مَا عُرِفَتْ
 بِاسْمِ لَهَا ، فَهِيَ قَبْلَ اسْمِ إِذَا كَانَا
 حَيْتِ مِنْ قَلْعَةٍ مَا آدَ كَاهِلَهَا
 عَبَاءُ السَّمَاوَاتِ إِلَّا خَفَّ إِيمَانَا
 أَمْسَكْتِهَا أَنْ يَمِيدَ الظَّالِمُونَ بِهَا
 دِينًا لَنَا وَانْتَصَارَاتٍ وَعُنْوَانَا
 يَا مَرْفَأَ النُّورِ ، مَا أَرْجَعْتَ وَادَعَةً
 مِنْ غَيْرِ زَادٍ ، وَلَا آوَيْتِ قُرْصَانَا
 وَلَا تَلْفَظْتِ مِنْ مَرَسَاكِ مَعْتَدِيَا
 إِلَّا مَدَمِّي ذَلِيلَ الْهَامِ خَزْيَانَا
 جَمَعْتِ مِنْ شَطِّ صُورٍ لَمْحٍ أَحْرُفِهَا
 وَاخْتَرْتِ مِنْ بَابِلٍ وَاحْتَرْتِ مِرْوَانَا

والنيلُ ساقَ العذارى من عرائسه
للخِصبِ ، في موكب الفادين ، قربانا !
فالويلُ لو كان للعادين ما قدروا !
لأنهدَّ من حاضرٍ ماضٍ فأخزاننا
فلا ابتنى هرماً بابٍ ، ولا لبستُ
تيجانها ، في انتظار الروحِ ، موتانا
ولا تفجَّر في « ذي قار » فتيتُها
ولا تنفَّستِ الصحراءُ قرآنا !
ُحييتِ موتى ، وأحياءً ، وأبنيَّةً
مستشهداتٍ أو استعصين أركاننا
والنار والبادروب النار كم زرعوا
من كلِّ ثكلى لعزرائيل بستاننا !
من كلِّ وجهٍ لطفلٍ فيه زنبقةُ
تدُمى ، وتلثمُ فيه الرِّيحِ غرُباننا
الجو مما يلزوب الحديدَ به
قاعُ الجحيمِ التظى وانصبَّ طوفانا
سقاكٍ من كلِّ غيمٍ فيه أحرزَه
جوفُ الثرى واشتهته النارُ أزماننا
كأس الرصاص التي غنى بتوأمها
« سقراطُ » وابتلَّ منها جرح وهراننا !

(١) أجب الفيلسوف الأغرقي سقراط على تجرع كأس من السم

من أيّما رثّةٍ ؟ من أيّ قيثارِ
تنهلُّ أشعاري ؟
من غابةِ النارِ ؟
أم من عويل الصبايا بين أحجار
منها تنزُّ المياه السودُ واللبن المشويُّ كالقار ؟
من أيّ أحداق طفلٍ فيكٍ تُغتصبُ ؟
من أيّ خبزٍ وماءٍ فيكٍ ما صلبوا ؟
سن أيّما شُرْفَةٍ ؟ من أيّما دارٍ ؟
تنهلُّ أشعاري
كالشارِ ؟

كالنور في رايات ثوّار ؟
من مائكِ السهرانِ أوتاري ؟
أم بُرجكِ الهاري
يبكي دماً من جرحِ بحّار ؟
أطفالكِ الموتى ، على المرفأ
يبكون في الريح الشاليه ،
والنور من مصباحه المطفأ
قد غار كالديه

في صدري العاري ،
بُطفالكِ الأمواتِ أعلرُ الحديدِ

في عرسه الدامي ، وذلُّ الرصاص ،
مالوا بملك من شقاء العبيد
واستنزلوا أربابه للقصاص
في ساحة النارِ
يبكون في الريح الشماليه
أسرى ، على السفن الصليبيه ،
والريح كالمديه
تجتثُّ أظفاري
يبكون في داري

بالقشُّ والطين سدّوا كوة القمرِ ،
والريح في الشجر
قد كمّوا فاهها ،
كي لا تصيح « اخبأوا عن أعين الفجرِ
أطفالكم ، فهي ما ترتدُّ أحداها
إلا وحال الذي تلقى ، الى حجرِ »
الريحُ قيثاري
قد كمّوا فاهها

هاويكِ أعلى من الطاغوت فانتصبي
ما ذلَّ غيرُ الصفاة للنارِ والخشبِ

حَيِّتِ مِنْ قَنْعَةٍ شَقَّ الْفِضَاءَ بِهَا
 أَسُّهَا فِي صُدُورِ الْقَتَبَةِ الْعَرَبِ
 الطَّيْنِ فِيهَا دَمٌ مَنَا ، وَجَنْدَلُهَا
 مِنْ عَزْمَةٍ ، وَالْحَدِيدُ الصُّلْدُ مِنْ غَضَبِ
 أَنْتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ، نَاتِي خُلِقْتَ
 فِي عَشْرَةِ تَحْسِبِ الْأَيَّامِ بِالْحُقُبِ
 وَالصَّخْرَ فِيكَ اسْتَمَدَّ الرُّوحَ إِذْ لَمَسْتَ
 عُقْمَ الْجَمَادَاتِ فِيهِ إِصْبَعُ اللَّهَبِ
 فِي كُلِّ أَنْقَاضِ دَارٍ ، مِنْ صَفَاهِ يَدُ
 جِبَارَةٍ تَصْفَعُ الْعَادِينَ كَالشَّهْبِ
 مَا أَنْهَدَ إِلَّا وَأَعْلَى فِي ضَمَائِرِنَا
 سَدًّا مِنَ الثَّارِ أَعْيَى حَيْلَةَ النُّوَبِ
 وَالْمَاءِ ، حَتَّى زَلَالُ الْمَاءِ ، فِيكَ مُدَى
 مِنْ فِضَّةِ اللَّهِ تَوْهِي جِحْفَلَ الذَّهَبِ
 مَا بَلَّ لِلْجِحْفَلِ الْمَاجُورِ غُلَّتَهُ
 حَتَّى جَبِي قَدْرَ مَاءٍ مِنْ دَمٍ سَرَبَ !
 أَمْلَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فِيكَ جَوْهَرَهُ
 خَلْفَ لَجِيشِينَ ذِي قُرْبَى وَذِي أَرْبِ
 إِنَّ الْحَدِيدَ الَّذِي صَنَتِ الْحَيَاةَ بِهِ
 غَيْرَ الْحَدِيدِ الَّذِي وَافَاكَ بِالْعَطَبِ

والخير في بُدقياتِ قذائفها
حتفُ المغيرين ، والميلادُ في قُضْب
لكنه الشرُّ في خبزِ حقائبه
عونٌ لأعدائكِ الجوعى ، وفي قِرب !
ليت المسيح الذي داجى بشيرِعتِه
من باعِ مِثواه ، راءِ فيك عن كِثب
خرسٌ نواتيسكِ الثكلى وداميةٌ
فيكِ الأناجيلُ ، والموتى بلا صلب
والحابسِ الماءِ عن جرحاكِ حَمَلها
عبءِ الصليبينِ من حُمى ومن خشب
واستنطقِ الأمِّ ثكلى أين جيرتها
من فتيةٍ لاصطيادِ العسكرِ اللّجب ؟
فالمِّ في مقلتيها ، وهي تنظره ،
كلُّ الخاضاتِ والتسفيدِ والنّصب
كانما استودعتها كلُّ والدةٍ
آجالَ كلِّ الذراري طيلة الحُقْبِ
فاختارتِ الموتِ معلوكاً مرضعها ،
معروكةً في رحي تترى من الرُّكبِ
تفدي بما يستبيحُ الجنْدُ من دمها
والنارِ ، أعراضَ كلِّ الخردِّ العُربِ

أبناء « جنكيز » في روحٍ ، وان بعدوا
في نسبةٍ ربِّ قُربى دون مَنْتَسِب
شرُّ اللصوص ، اذا عفَّ التتارُ فما
عفّوا عن الرّيشن والأسمان واللّعب !
فلتنفخ الصّور في أفريقيّا أممٌ
بالأمس قد أنزلوها أسفل الرُّتب
ولتسمعنّ الزوج البيّض صيحتهما
« إنّنا الى الله أدنى منك في نسب » !
حيّيت فالوحش أوهى فيك مخلبه ؛
يا غابة النّسار قبد أثمرت بالغلب !

من أيّ عبءٍ على روجي ومسمار
من أعينٍ ، في صليب تحت أسواري ،
تأتيك أشعاري ؟
حمراء خضراء من جرحٍ ومن غارٍ ،
خضراء من راية ، حمراء من نار ،
خضراء كالماء في فردوسك الجاري ؟
يا ليت أوتاري
خضراء حمراء من قلبي ومن ثاري !
يا ليت أبواب قلبي منك تلتهب !

يا ليتها دونُ قُفْلٍ، ليتها خشبُ !
أو خربَ الجنْدُ قلبي، فهي تنتحبُ
في كلِّ إعصارٍ !
سودٌ، كما اسودّت الأموات، أنْهاري
فالطين فيها فمٌ يمتصُّ أسفري،
والريحُ في داري
سوداءُ ما رفَّ منها باللّظى عصبُ
لا تسالي بعدُ عنها إنها عشبُ
أعواده السودُ غدّي عجلهُ الذهبُ
منها، فخبّأتُ في عنيّ قيثاري !
كوني لاشعاري
وحياً، وشدّي ببأسٍ منك أوتاري .
يا مرفاً النور، كن مرسىً لافكاري !
يا مرفاً النار
ألهبتَ أغواري
بالنارِ
مزقت عنها سودَ أستارِ
فانهلتَ الشمسُ على داري .
كم من دفينٍ، كلُّ ماء القنالُ

في مدّه العاتي وفي جزره ،
يلقي على صدره
عبئاً من الظلماء - كان القتال
من أجل أن يرتاح في قبره !
ما كان إلاّ من دموع الرّجال
والنسوة الباكين في قعره ،
هذا الذي بين العبايين سال !
كالليل هذا الماء فوق القبور
كالنار ، كالإعصار ، كالداء
تحتضُّ في ليل الخليج الصدور ،
والشمسُ تحسو كلَّ ماءِ الصدور
في عالمٍ لم تمش فيه العصور -
من ملتقىّ للماء بالماء !
كالليل هذا الماء ، ندُّ الحياه
الموت والميلاد بوآبتاه .
في قاعه الموتى قد استبدلوا
بالنبض ، ما يُرغي به الرجلُ
في موقرات ، من سفين الغزاه ،
بالموت مما يصنع المعملُ
حتى اذا ما رشَّ عارَ العُتاه

بالدمع من عينيه ، والنار
من قلبه المورق بالغار ،
انسانك الغفلاق ظلُّ الإله ،
ظلُّ الملايين التي مقلتهاه
عنها ترى ما في خيالِ تراه ،
هذا الذي أعصابُها في قواه -
أحيى دم الموتى ، فخرَّ الطغاه !
فليحرسِ الأحياء باب الحياه !

غاض الغيرونَ عن واديكِ وانحسروا
فالأرضُ تدمى بقتلاها وتزدهر
وازداركِ الموتُ لا مُنْسأ ملامحه
بيضا ، كما تهلك الأنعامُ والشجر
حاشاك ! فالموتُ توري فيكِ حدته
طعمُ الدم الحيِّ ، ما يرقى به البشر
أخفاهُ عنك الترامُ واشتباكُ يدٍ
في مثلها ، فهو حيثُ اجتازهُ البصر
حتى إذا ارتدَّ واستبشعتِ صورتهُ
أدركتِ أيَّ انتصارٍ ذلك الظفر !
أدركتِ أنَّ الضحايا ردَّ كثرها
فيكِ الأقلُّ المضحى أنَّها كثرُ

من سدّدَ النارَ في ايديكِ ، يُوردها
كيدَ المغيرينَ منه الظنُّ والنظرُ ؟
واحتازَ في قلبه الاحتابَ ، يزرعها
في جانبٍ منه واستبسالكِ الثمرُ ؟
واستنفرَ الشرقَ حتى كاد ميّته
يسعى ؟ أهذا صلاحُ الدين أم عمرُ ؟
هذا الذي حدثتنا عنه أنفسنا
في كلِّ دهياءَ نبلوها ومنتظر
هذا الذي كلُّ ، عن سحقٍ لبذرتِه
بالخيلِ والذابلاتِ ، الرومُ والتترُ
يا أمّةً تصنعُ الاقدارَ من دمها
لا تياسي انّ « سيف الدولة » القدر
أعطى لكلِّ انتصارٍ فيك جدّتهُ
فاخضلَّ واخضلت الآياتِ والسُّور
في مسجدٍ أمّ مشاءُ بأمتِه
فيه المصلّينَ ، حتى كبرَ الحجرُ !
واستشرفَ الساحِ ناءٍ عنه يحمله
ما بين جنبيه ، رامٍ فيه منتصر
عينٌ لسيناءَ ترقى كلَّ رايبه
فيها ، وعينٌ وراءَ النيلِ تنحدر

أو تنفيضُ الأفق ، حتى ضاءَ من لهبٍ
حلاقها ، فهي ممّا راءَ تستعير !
جاؤوك ! جاء الصليبيون ، قاصفة
تنقضُّ في اثر أُخرى ، فاللظى مطر
في كلِّ فانوس موتى من قذائفها
نورٌ له اختضت الإبعادُ والعُصر
فالشرق عارٍ مدى عينيه ، منبسطُ
كالراحة الدور ، والاكواخ والحُفر
يكاد يبصر ما أبقاه مكتمدحُ
في جبهةٍ ، واغتذى من مقلةٍ سهر
أيامضة البرق إلا أنها حقبُ
تطوى ، ومستقبل يُبنى ويدخز !
المجد لله والانسان ان يدا
تحبي وقلبا يداوي ، منها أثر !
يا قلعة النور تدمى كلُّ نافذةٍ
فيها ، وتلظى ، ولا تستسلم ، الحجر
أحسستُ بالذلُّ أن يلقاكِ دون دمي
شعري ، وأني بما ضحيتِ أنتصر
لكنّها باقةٌ أسعى اليكِ بها
حمراءُ يخضلُّ فيها من دمي زهر !

١٩٥٦

الموسى العمياء

الليل يُطبق مرّة أخرى ، فتشربه المدينة
والعابرون ، إلى القرارة مثل أغنية حزينه
وتفتحت ، كأزهار الدفلى ، مصايح الطريق ،
كعيون « ميدوزا »^١ ، تحجّر كل قلب بالضغينه ،
وكانها نذرٌ تبشر أهل « بابل » بالحريق

من أي غاب جاء هذا الليل ؟ من أي الكهوف
من أي وجر للذئاب ؟
من أي عش في المقابر دفّ أسفع كالغراب ؟
« قابيل »^٢ أخفّ دم الجريمة بالأزهار والشفوف
وبما تشاء من العطور أو ابتسامات النساء
ومن المتاجر والمقاهي وهي تنبض بالضياء !

(١) في الاساطير اليونانية ان عيون ميدوزا تحول كل من تلتقي بها عيناه
الى حجر

(٢) في القرآن الكريم ان الغراب هو الذي أرشد قابيل كيف يدفن
أخاه بعد ان قتله

عمياء كالحفّاش في وضح النهار ، هي المدينة ،
والليل زاد لها عماها
والعابرون
الأضلع المتقوّسات على المخاوف والظنون ،
والأعين التعبى تفتّش عن خيال في سواها
وتعدّ آنية تلالاً في حوانيت الخمر
موتى تخاف من النشور
قالوا سنهرب ، ثم لاذوا بالقبور من القبور !

من هؤلاء العابرون ؟
أحفاد «أوديب» الضرير ووارثوه المبصرون
(جوكت) أرملة كأمس ، وباب « طيبة » ما يزال
يُلقب « أبو الهول » الرهيب عليه ، من رعب ظلال
والموت يلهث في سؤال
باقٍ كما كان السؤال ، ومات معناه القديم
من دُول ما اهترأ الجواب على الشفاه
— وما الجواب ؟

(١) تزوج «أوديب» امه «جوكت» وهو لا يدري بأنها امه
وطيبة هي المدينة التي دخلها بعد ان قتل اياه ملك طيبة ، فتزوج امه ، زوجة
الملك القتيل . وكان «أبو الهول» يجرس مدخل المدينة ويلقي على كل غريب
يدخلها سؤالاً : « ما الكائن الذي يمشي على أربع في الفجر واثنتين في الظهيرة
وثلاث في المساء » ، وقد حل اوديب هذا اللغز وكان الجواب : «الانسان» .



« أنا » قال بعض العابرين
وانسلت الأضواء من باب ثناء كالجيم
تطفو عليهن البغايا كالفراشات العطاش
يبحثن في النيران عن قطرات ماء عن رشاش.

لا تثقلنَّ خطاك فالمبغى « علائي »^١ الأديم
أبناؤك الصرعى تراب تحت نعلك مستباح ،
يتضاحكون ويعولون
أو يهمسون بما جناه أب يبرؤه الصباح
مما جناه ، ويتبعون صدى خطاك الى السكون

الحارس المكدود يعبر ، والبغايا متعبات ،
النوم في احداقهن يرفُّ كالطير السجين ،
وعلى الشفاه أو الجبين
تترنح البسات والأصباغ ثكلى ، باكيات ،
متعثرات بالعيون وبالخطى والقهقهات ،
وكان عارية الصدور
أوصال جندي قتيل كلوها بالزهور ،

(١) نسبة الى ابي العلاء المعري ، الاعشى والقائل « ما أظن اديم الارض
إلا من هذه الاجساد » و « هذا جناه ابي علي »

وكانها درج الى الشهوات ، ترجمه الثغور
حتى يهدم أو يكاد .. سوى بقايا من صخور

جيفٌ تسترّ بالطلاء ، يكاد ينكر من رآها
أن الطفولة فجرتها ، ذات يومٍ ، بالضياء
كالجدول الثرثار - أو أن الصباح رأى خطاها
في غير هذا الغار تضحك للنسائم والسماء ،
ويكاد ينكر أن شتّى لاح من خلل الطلاء
قد كان - حتى قبل اعوام من الدم والخطيئة -
ثغراً يكركر ، أو يثرثر بالأقاصيص البريئة
لأبٍ يعود بما استطاع من الهدايا في المساء
لأبٍ يقبل وجه طفله النديّ أو الجبين
أو ساعدين كفرختين من الحمام في النقاء
ما كان يعلم أن ألف فمٍ كبتّرٍ دون ماء
ستمصُّ من ذاك الحيا كل ماء للحياء
حتى يحفّ على العظام - وأن عاراً كالوباء
يصم الجباه فليس تُغسل منه إلا بالدماء
سيحلّ من ذاك الجبين به ويلحق بالبنين -
والساعدين الأبيضين ، كما تنورُ في السهول
تفاحة عذراء ، سوف يطوّقان ، مع السنين

كالحيّتين ، خصور آلاف الرجال المتعبين
الخارجين ، خروج آدم ، من نعيمٍ في الحقول
تفاحه الدمُ والرغيفُ وجرعَتان من الكحول ،
والحيّة الرقطاء ظلُّ من سيات الظالمين
يا أنتَ ، يا أحد السكارى ،

يا من يريد من البغايا ما يريد من العذارى
(ما ظلَّ يحلم ، منذ كان ، به ويزرع في الصحارى
زبد الشواطئ والمحار)

مترقباً ميلاد « أفروديت »^١ ليلاً أو نهاراً
أتريد من هذا الحطام الآدمي المستباح
دفعَ الربيع وفرحة الحمل الغرير مع الصباح
ودواء ما تلقاه من سأمٍ وذلٍّ واكتداح ؟
المال ، شيطان المدينة

لم يحظَ ، من هذا الرهان ، بغير أجساد مهينه
« فاوست »^٢ في أعماقهن يعيد أغنية حزينه
المال ، شيطان المدينة ، ربُّ « فاوست » الجديدُ

(١) في أساطير الاغريق أن « أفروديت » ولدت من زبد البحر ونزلت
الى البر محمولة على صدفة محار .

(٢) تراهن الله والشيطان على فاوست ، وزعم الشيطان أنه يستطيع
شراءه روحاً وجسداً . وقبل فاوست بأن يبيع نفسه فوضع الشيطان نفسه في
خدمته لقاء ذلك . فرد عليه الشاب ووهبه اللآلئ والمال وأراه شبح هيلين
الاغريقية

جارت على الاثمان وفرة ما لديه من العبيد ،
الخبز والاسمال حظُّ عبيده المتدللين
مما يوزع من عطايا - لا اللآلئ والشباب ،
والموس العجفاء - لا «هيلين»^١ ، والظماً للعين
لا حكمة الفرح المجنَّح والخطيئة والعذاب
الخليل من سامٍ تحمحم وهي تضرب بالحوافر^٢
حجر الطريق

هلمَّ فالخوذى يبحث عن مسافر
والريح صرُّ ، والبغي بلا زبائن منذ حين
إن لم تضاجعها وصدَّ سواك عنها معرضين
فكيف تحيا؟ وهي ، مثلك لا تعيش بلا طعام؟
لا تحش منها أن تُراع بما تأكله الجذام
من صدرك النخر العريض. وأنت ويحك يا أخاها
ماذا تريد ، وعمَّ تبحث في الوجوه؟ ويا أباه
أطعنُ بخنجرك الهواء فأنتما لن تقتلاها
هي لن تموت

سيظلُّ غاصبها يطاردها وتلفظها البيوت

(١) وفي النهاية لم يحصل الشيطان إلا على جسد فاوست ، بينما صعدت روحه إلى السماء

(٢) البيت من «فاوست» لغوته ، يقوله الشيطان لفاوست حين كان يزور مرغريت « التي غرر بها وقتل أخاها وولدت طفلاً فقتلته » وهي في سجنها .

ستظلّ - ما دامت سهام التبر تصفر في الهواء -
تعدو ، ويتبعها « أبولو » من جديد كالتقضاء ،
وتظلّ تهمس ، إذ تكاد يدها أن تتلقّفها
« أبتى أغثني » بيد أنك لا تصيخ إلى النداء ،
لو كنت من عرق الجبين ترشّها ومن الدماء
وتحيلها امرأة بحقّ ، لا متاعاً للشراء
كلّلتَ منها ، بالفخار وبالبطولات ، الجباها !

وكان الحاظ البغايا
إبرٌ تُسَلُّ بها خيوط من وشائع في الحنايا
وتظلّ تنسج ، بينهن وبين حشد العابرين ،
شيئاً كبيت العنكبوت يخضّه الحقد الدفين
حقدٌ سيعصف بالرجال
والأخريات النائمت هناك في كنف الرجال
والساهرات على المهود وفي بيوت الأقربين
حول الصلاة بلا اطّراحٍ للثياب ولا اغتسال

(١) كانت « دفتي » ابنة إله صغير إله أمد الانهار وقد رآها « أبولو »
إله الشمس الجبار فأحبها وطاردها محارلاً اغتصابها وقد استنجدت بأبيها
فرشها بحفنة من الماء وأحالتها إلى شجرة غار تضرع من أغصانها الاكليل للابطال.
اما سهام التبر ، الذهب ، فهي السهام التي كان كيوييد يرشق بها قلب ابولو
ليلهب الحب فيه وقد استعرتها رمزاً لسطوة المال

في الزمهرير ، ودوب عدّ لليالي والسنين !

ويعر عملاق يبيع الطير ، معطفه الطويل
حيران تصطفق الرياح بجاذبيه ، وقبضته
تتراوحان فللرداء يدٌ وللعبة الثقيلـ
يدٌ ، وأعناق الطيور مرنحات من خطاه
تدمى كأثناء العجائز يوم قطعها الغزاه
خطواته العجلى ، وصرخته الطويلة : « يا طيور
هذي الطيور ، فمن يقول تعال... »

أفزعها صداه

يأتيه من عُرف البغايا كاللهاث من الصدور
ويدٌ تشير اليه عن كذب ، وقائلة تعال !
بين التضاحك والسعال
عمياء تطفئ مقلتها شهوة الدم في الرجال .
وتحسّسته كأب باصرة تهتمُّ ولا تدور
في الراحتين وفي الانامل وهي تعثر بالطيور ،
وتوسلته : « فدى لعينك - خلّني... بيدي أراها » .
ويكاد يهتك ما يغلف ناظرها من عماها
قلبٌ تحرق في المحاجر واشرابٌ يريد نور !
وتمس أجنحة مرقطة فتشرها يداها ،

وتظل تذكر - وهي تمسحهن - أجنحة سواها
كانت تراها وهي تخفق ملء عينيها تراها
سربٌ من البطّ المهاجر ، يستحثُّ الى الجنوب
أعناقه الجدلى تكاد تزيد من صمت الغروب
صيحائه المتقطعات ، وتضمحل على السهوب
بين الضباب ، ويهمس البردي بالرجع الكئيب

ويرج وشوشة السكون
طلق... فيصمت كل شيء. ثم يلغظ في جنون.
هي بطّة فلم انتفضتِ؟ وما عساها أن تكون؟
ولعل صائدها أبوك ، فأن يكن فستشبعون
وتخفّ راكضةً حيال النهر كي تلقى أبها
هو خلف ذلك التل يحصد. سوف يغضب إن رآها.
مرّ النهار ولم تُعنه وليس من عونٍ سواها
وتظل ترقى التل وهي تكاد تكفر من أساها

يا ذكرياتُ علام جئتِ على العمى وعلى السهاد؟
لا تمهليها ، فالعذاب بأن تمرّ في اتئاد
قصّي عليها كيف مات وقد تضرّج بالدماء
هو والسنابل والمساء -

وعيون فلاحين ترتجف المذلة في كواها

والغمغمات: «رآه يسرق...»، واختلاجات الشفاه
يخزين ميّتها، فتصرخ «يا إلهي، يا إلهي
لو ان غير «الشيخ»!، وانكدأت تشدّ على القتيل
شفتين تنتقمان منه أسى وحباً والتبعا
وكان وسوسة السنابل والجداول والنخيل
أصداء موتى همسون: «رآه يسرق» في الحقول
حيث البيادر تفصد الموتى فتزداد اتساعا!

وتحسُّ بالدم وهو ينزف من مكانٍ في عماها
كالماء من خشب السفينة، والصديد من القبور،
وبأدمعٍ من مقلتيها كالنمل على الصخور
أو مثل حبات الرمال مبعثرات في عماها
يهوين منه الى قرارة قلبها آهاً فأها
ومن الموم وتلك أقدارٌ كُتبن على الجبين؟
حتمٌ عليها أن تعيش بعرضها، وعلى سواها
من هؤلاء البائسات وشاء رب العالمين
ألا يكون سوى أبيها - بين آلافٍ - أباه
وقضى عليه بأن يجوع
والقمح ينضج في الحقول من الصباح الى المساء
وبأن يلصّ فيقتلوه (وتشرّب الى السماء

كالستغيثة ، وهي تبكي في الظلام بلا دموع)
والله - عزّ الله - شاء

ان تقذف المدن البعيدة والبحار الى العراق
آلاف آلاف الجنود ليستبيحوا ، في زقاق
دون الازقة أجمعين

ودون آلاف الصبايا ، بنت بائعة الرقاق
تلك الشقيّة ، ياسمين

(ذاك اسم جاريتها الجديد ، فليتها كانت تراها
هل تستحق اسماً كهذا ياسمين وياسمين ؟)
ومن الذي جعل النساء

دون الرجال ، فلا سبيل الى الرغيف سوى البغاء؟
الله - عزّ وجلّ - شاء

ألا يكنّ سوى بغايا أو حواضن أو إماء
أو خادمتٍ يستبيح عفافهن المترفون
أو سائلاتٍ يشتهيهن الرجال المحسنون !!
لو لم تكن أنثى ! - وتسمع قهقهاتٍ من بعيد

« عباس » عاد من الترصد بالرجال على الوصيد
ولسوف تنزح راحته غسالة الضيف الجديد
لو لم تكن انثى . وتسمع قهقهاتٍ من بعيد .
ياليت حمّالاً تزوجها يعود مع المساء

بالخبز في يده اليسار وبالحمبة في اليمين
لكن بأئسة سواها حدثتها منذ حين
عن بيتها وعن ابنتيها ، وهي تشهق بالبكاء
عن زوجها الشرطيّ يحمله الغروب إلى البغايا
كالغيمة السوداء تُنذر بالجماعة والرزايا ،
أزراره المتألّقات على مغالق كل باب
مُقلّ الذئب الجائعات ترود غاباً بعد غاب
وخطاه مطرقة تسمر ، في الظلام ، على البغايا
أبوابهنّ إلى الصباح - فلا أتجارُ بالخطايا
إلا لعاهرةٍ تُجاز بأن تكون من البغايا

ويظلّ يخفرهن من شبعٍ ، وينثر في الرياح
أغنيّةً تصف السنايل والازاهر والصبايا ،
وتظلّ تنتظر الصباح وساعديه مع الصباح
تصغي - وتحتضن ابنتيها في الظلام - الى النباح
والى الرياح تئنّ كالوتى وتعول كالسبايا
وتجمع الأشباح من حفر الخرائب والكهوف
ومن المقابر والصحارى بالمئات وبالالوف
فتقف من فزعٍ وتحجب مقلتيها بالغطاء ،
ويعود والغبش الحزين يرشّ بالطلّ المضاء
سعف النخيل يعود من سهرٍ يئنّ ومن عياءٍ

– كالغيمة اعتصرت قواها في القفار ، وترتجيبها
عبرَ التلالُ قَوَىَّ تجوع – لكي ينام الى المساء
عيشٌ أشقُّ من المنية ، وانتظار كالنفاء
وطوى يعبُّ من الدماء وُسْمُ أفعى في الدماء
وعيون زانٍ يشتهيها ، كالجحيم يشعُّ فيها
سخرٌ وشوق واحتقار ، لاحقتها كالوباء
والمال يهمس أشتريك وأشتريك فيشتريها

يا ليتها ، إذن ، انتهى أجلٌ بها فطوى أساها !
« لو استطيع قتلتُ نفسي .. » همسةٌ خنقت صداها
أخرى توسوس : « والجحيم ؟ أتصبرين على لظاها ؟
وإذا اكفهرٌ وضاقت لحدك ، ثم ضاقت ، الى القرارِ
حتى تفجّر من أصابعك الحليب رشاش نارِ
وتساءل المَلَكُانِ فيمَ قتلتِ نفسك يا أثيمه ؟
وتخطّفاك الى السعير تكفّرين عن الجريمة
أفتصرخين أبي ! فينفض راحتيه من الغبارِ
ويخف نحوك وهو يهتف : قد اتيتك يا سليمه ؟ »
حتى أسْمُها فقدته واستترت بأخر مستعارِ
هي – منذ ان عميتُ – « صباحُ »

فأيُّ سخريةٍ مريره !
أين الصباح من الظلام تعيش فيه بلا نهار
وبلا كواكب أو شموعٍ أو كوى وبدون نار؟
أو بعد ذلك ترهين لقاء ربك أو سعيره؟
ألقبر أهون من دجلك دجى وأرفق ، يا ضريره
يا مستباحة كالفريسة في عراء ، يا أسيره
تتلفَّتين الى الدروب ولا سبيل الى الفرارِ ؟

وتحس بالأسف الكظيم لنفسها لم تستباح؟
ألهر نام على الارىكة قربها لم تستباح؟
شبعان اغفى ، وهي جائعة تلمّ من الرياح
اصداء قهقهة السكارى في الأزقة ، والنباح
وتعدّ وقع خطى هنا وهناك ها هو ذا زبون
هو ذا يجيء - وتشرئب ، وكاد يلمس . ثم راح .
وتدقّ في احد المنازل ساعة لم تستباح؟
الوقت آذن بانتهاء الزبائن يرحلون
لم تستباح وتستباح على الطوى؟ لم تستباح؟
كالدرب تذرعه القوافل والكلاب الى الصباح؟
ألجوع ينخر في حشاها ، والسكارى يرحلون ،
مروا عليها في المساء وفي العشية ينسجون

حماً لها هي والمنون
عصبات مهجتها سداه وكل عوق في العيون ،
والآن عادوا ينقضون -
خيطة فخيطة من قرارة قلبها ومن الجراح -
ما ليس بالحلم الذي نسجوه ، ما لا يدركون
شيئاً هو الحلم الذي نسجوا وما لا يعرفون ،
هو منه أكثر كالحفيف من الخائل والرياح ،
والشعر من وزن وقافية ومعنى ، والصبح -
من شمسه الوضاء... وانصرفوا سكارى يضحكون!
فليرحلوا. ستعيش ، فهي من السعال ومن عماها
أقوى ، ومن صخب السكارى

فامض عنها يا اسها!

ستجوع عاماً أو يزيد ، ولا تموت ، ففي حشاها
حقدٌ يؤرث من قواها
ستعيش للثأر الرهيب
والداء في دمها وفي فمها ستنفث من رداها
في كل عرق من عروق رجاها شبحاً من الدم واللمهيب ،
شبحاً تخطف مقلتيها أمس ، من رجل أتاها
ستردّه هي للرجال ، بأنهم قتلوا أبها
وتلقفوها يعبثون بها وما رحوا صباها ،

لم يبتغوها للزواج لأنها امرأة فقيره ،
واستدرجوها بالوعد لأنها كانت غريره ،
وتهامس المتقولون فثار أبناء العشيره
متعطين - على المفارق والدروب - إلى دماها
وكان موجة حقدتها وأسأها

كانت تقرب من بصيرة قلبها صوراً علاها
صدأ المدينة وهي ترقد في القرارة من عماها
كل الرجال ؟ وأهل قريتها ؟ أليسوا طيبين ؟
كانوا جيعاً - مثلها هي أو أبيها - بأئسين ،
هم مثلها - وهم الرجال - ومثل آلاف البغايا
بالخبز والأطهار يُؤْتَجرون ، والجسدُ المهين
هو كل ما يتملكون ، هم الخطاة بلا خطايا
وهم السكارى بالشرور كهؤلاء العابرين
من السكارى ، بالخمر .. كهؤلاء الفاجرين بلا فجور
الشاربين - كمن تضاجع نفسها - ثمن العشاء
الدافين خروق بالية الجوارب في الحذاء ،
يتساومون مع البغايا في العشي على الأجور
ليوفروا ثمن الفطور !

ليس الذين تغصّبوها من سلالة هؤلاء
كانوا كآلهة مقطّبة الجباه من الصخور

تمتصُّ من فزع الضحايا زهوها ومن الدماء
 متطلعين الى البرايا كالصواعق من علاء !
 وتحسُّ ، في دمها ، كآبة كلِّ أمطار الشتاء
 من خفق أقدام السكرى ، كالأسير وراء سور
 يصغي الى قرع الطبول يموت في الشفق المضاء
 هي والبغايا خلف سورٍ ، والسكرى خلف سور ،
 يبحثن هنَّ عن الرجال ، ويبحثون عن النساء ،
 دमितُّ أصابعهن تحفر والحجارة لا تلين ،
 والسور يمضغن ثم يقيسهن ركام طين
 نصباً يخلد عار آدم واندحار الأنبياء ،
 وطلول مقبرةٍ تضم رفات « هابيل » الجنين !
 سورٌ كهذا ، حدثوها عنه في قصص الطفولة
 «أجوج» يغرز فيه ، من حنق ، أظافره الطويلة
 ويعضُّ جندله الأصم ، وكفُّ «أجوج» الثقيله
 تهوي ، كأعنف ما تكون ، على جلامده الضخام ،
 والسور باقٍ لا يُثَلُّ وسوف يبقى ألف عام ،

(١) قصة أجوج وأجوج يعرفها كل من قر القرآن الكريم ولكن الاساطير الشعبية تضيف اليها انها يلحسان السور بلسانها كل يوم حتى يصبح في رقة قشرة البصل ، ويدركها التعب فيقولان « غداً سنتم العمل » وفي الغد يجدان السور على عهده من القوة والمتانة وهكذا حتى يولد لها طفل يسميانه « ان شاء الله » فيحطم السور .

لكنّ (إن - شاء - الإله)

- طفلاً كذلك سمّياه -

سيهبّ ذات ضحى ويقلع ذلك السور الكبير
الطفل شاب وسورها هي ما يزال كما رآه
من قبل يأجوج البرايا توأمٌ هو للسعير !
لصّ الحجارة من منازلٍ في السهول وفي الجبال
يتواثب الاطفال في غرفاتها ويكركرون
والأمهات يلدن والآباء للغد يسمون ،
لم يُسق من حجر عليها ، فهي ريح او خيال
وأدار من حطّم البلاط رحي ، وساطم من البطون
ما ترتعيه رحاه من لحم الأجنّة والعظام ،
وكشاطئين من النجوم على خليج من ظلام
يتحرّقان ولا لقاء ويخمدان سوى ركام -
شق الرجال عن النساء سلالتين من الانام
تتلاقيان مع الظلام وتفصيلان مع الشروق
زانٍ وزانية ، وبائعة وشارٍ - والطعام
لا الحب' والأحقاد لا الأشواق - تنبض في العروق!
زان وزانية؟ .. أيكن ذاك وهي بلا عشاء ؟
لم يُعرض الزانون عنها وحدها؟ لم يعرضون
وهي الفقيرة فقر شحاذ؟ أما هي كالنساء؟

أو ما لها جسد كناضجة الثار ؟ أيعثرون
لو يقطعون الليل بحثاً والنهار - على سواها
في حسنها هي ؟ في غضارة ناهديها أو صباها
وبسعرها هي ؟ أيّ شيء غير هذا يبتغون ؟
أ « زهور » أجمل أو « سعاد » ؟ بأيّ شيء جارتاها
تتفوّقان ؟

وعضّت اليد وهي تهمس « بالعيون » !
عمياء أنت وحظك المنكود أعمى يا سليمه
وتلوب أغنية قديمة

في نفسها ، وصدى يوشوش « يا سليمه ، سليمه »
نامت عيون الناس . آه فمن لقلبي كي ينيمه ؟
ويل الرجال الاغبياء ، وويلها هي ، من عماها !
لم أصبحوا يتجنبون لقاءها ؟ أيضا جعون
عيونها ، فيخلّفوها وحدها إذ يعلمون
بأنها عمياء ؟ فيم يكابرون ومقلتاها
ما كانتا فخزين أو ردفين ؟

وهي بهؤلاء

أدرى ، وتعرف أيّ شيء في البغايا يشتهون

(١) أغنية شعبية « سليمه يا سليمه نامت عيون الناس كلي (قلبي)
ش ينيمه ؟ »

بالأمس ، اذ كانت بصيره ،
كان الزبائن بالمئات ولم يكونوا يَقْنَعُونَ
بنظرة قراء تغصبها من الروح الكسيره
لترشّ أفئدة الرجال بها ، وكانوا يلهثون
في وجهها المأجور ، أبخرةَ الخمور، ويصرخون
كالرعد في ليل الشتاء

عبر ابتسامتها أو الفخذ التي زلق الرداء
عنها ، أو النهدين نمّ عليها قلق الضياء -
« ان كنتِ لا تتجردين كما أتيتِ الى الوجود ،
ان كنتِ لا تتجردين فلا تقود ! »

ولعل غيرةَ « ياسمين » وحقدَها سببُ البلاء
فهي التي تضع الطلاء لها وتمسح بالذرور
وجهاً تطفئات النواظر فيه
- « كيف هو الطلاء ؟

وكيف أبدو ؟ »

- « وردةٌ قمر ضياء ! »

زورٌ وكل الخلق زور ،

والكون مُمينٌ وافتراء

لو تبصر المرأةَ - لحظةً مقلتيها - لو تراها

- لمح النيازك - ثم تغرق من جديد في عماها !

برقٌ ويُطفأ ثم تُحكَم فرقا بيدٍ ، وفاها
بيدٍ ، وترسم بالطلاء على الشفاه لها شفاها
شفتاك عارية وخذك ليس خدك يا سليمه ،
ماذا تخلف منك فيك سوى الجراحات القديمه ؟
وتضمُّ زهرة قلبها العطشى على ذكرى أليمه
تلك المعايضة اللعوب كأنها امرأة سواها !
كالجدولين تحوض ماءهما الكواكب - مقلتاها ،
والشعر يلهث بالرغائب والطرأوة والعبير
وبمثل أضواء الطريق نعسن في ليل مطير ،
والشعر بين الجلنار وزهرة النهدي الصغير
كانت اذا جلست الى المرأة يفتنها صباها
فتظل تعصر نهدها بيدٍ ، وتحملها رؤاها
من مخدع الآثام في المنفى ، الى قصر الأمير
تقتات بالعسل النقي ، وترتدي كسل الحرير
ليت النجوم تخرُّ كالنجم المطفأ ، والسماء
ركام قارٍ أو رماد ، والعواصف والسيول
تدكُّ راسية الجبال ولا تخلف في المدينة من بناء!
أب يعجز الانسان عن أن يستجير من الشقاء
حتى بوهم أو برؤيا ، أن يعيش بلا رجاء
أو ليس ذلك هو الجحيم ؟ أليس عدلاً أن يزول ؟

شبع الذُّباب من القمامة في المدينة ، والخيول
سرحن من عرباتهن الى الحظائر والحقول ،
والناس ناموا - وهي ترتقب الزناة بلا عشاء
هذا الذي عرضته كالسلع القديمة كالحذاء ،
او كالجرار الباليات ، كأسطوانات الغناء
هذا الذي يأبى عليها مشترٍ أب يشتريه
قد كان عرضاً - يوم كان - ككل أعراض النساء !
كان الفضاء يضيق عن سعة ، وترتخص الدماء
إن رنَّق النظر الاثيم عليه كاب هو الاباء
والعزة القعساء والشرف الرفيع فشاھديه
يا أعين الظلماء ، وامتلاي بغيضك وارجميه
بشواظ عارك واحتقارك يا عيوب الاغبياء !
- « لا تتركوني يا سكارى

للموت جوعاً ، بعد موتي - سيرة الاحياء - عارا
لا تقلقوا فعماي ليس مهابة لي أو وقارا ،
مازلت أعرف كيف أُرْعش ضحكتي خلل الرداء
- إبان خلعي للرداء - وكيف أرقص في ارتخاء
وأمسُّ أغطية السرير وأشرئبُ الى الورااء
مازلت أعرف كل ذلك ، فجرّبوني يا سكارى !
من ضاجع العربية السمراء لا يلقي خسارا

كالقمح لونك يا ابنة العرب ،^١
كالفجر بين عرائش العنب
أو كالفرات ، على ملامحه
دعة الثرى وضراوة الذهب
لا تتركوني فالضحى نسي
من فاتح ، ومجاهد ، ونبي !
عربية أنا أمتي دمها
خير الدماء كما يقول أبي

في موضع الارجاس من جسدي، وفي الثدي المذال
تجري دماء الفاتحين فلو ثوها ، يا رجال
من جنس للرجال فأمس عاث بها الجنود
الزاحفون من البحار كما يفور قطيع دود
يا ليمت للموتى عيوناً من هباء في الهواء
تري شقائي

فيرى أبي دمه الصريح يعبُّ أو شال الدماء
كالوحدل في المستنقعات فلا يردُّ الخاطبين
أبٌ سواه لأن جده أمٌّ ذاك من الأماء

(١) ضاع مفهوم القومية عندنا بين الشعوبيين والشوفيين . يجب ان تكون القومية شعبية ، والشعبية قومية . يجب جعل احفاد محمد وعمر وعلي وابي ذر والحوارج والشيعه الاوائل والمعتزلة يمشون عيشة تليق بهم كبشر وكورثة لاجاد الامة العربية

ولأن زوجة خال ذلك بنت خالة هؤلاء !
أنا يا سكارى لا أرد من الزبائن أجمعين
إلا العفاة الفلسين
أنا زهرة المستنقعات ، أعبُّ من وحل وطين
وأشعُّ لونَ ضحى «

وذكرها بجمعجة السنين

سعالها ذهب الشباب !!
ذهب الشباب !! فشيِّعه مع السنين الأربعين
ومع الرجال العابرين حيال بابك هازئين .
وأتى المشيب يلف روحك بالكآبة والضباب ،
فاستقبله على الرصيف بلا طعام أو ثياب ،
يا ليلتك المصباحُ يخفق ضوءُه القَلِيقُ الحزين
في ليل مخدعك الطويل ، وليت أنك تحرقين
دماً يحفُّ فتشترين

سواه كالمصباح والزيت الذي تستاجرين
عشرون عاماً قدمضين ، وشبتِ أنت ، وما يزال
يذرذر الأضواء في مُقل الرجال
لو كنت تدخرين أجر سنائه ذلك على السنين

(١) تدفع البغايا للسماوات أجرأ ليلياً عن المصابيح في غرفتهن قدره
ربع دينار لكل مصباح ١

أثريثِ

ها هو ذا يُضيءُ فأبيّ شيءٍ تملكين ؟
ويح العراق ! أكان عدلاً فيه أنك تدفعين
سُهاد مقلتك الضريرة
ثمناً لملء يديك زيتاً من منابعه الغزيرة ؟
كي يشمر المصباحُ بالنور الذي لا تبصرين ؟
عشرون عاماً قد مضين ، وأنت غرثى تأكلين
بنيك من سغبٍ ، وظمأى تشربين
حليب ثديك وهو ينزف من خياشيم الجنين !
وكزارع لهم البذور
وراح يقتلع الجذور
من جوعه ، وأتى الربيع فما تفتّحت الزهورُ
ولا تنفّست السنابل فيه

ليس سوى الصخورِ

سوى الرمال ، سوى الفلاه -

خُنتِ الحياة ، بغير علمك ، في اكتداحك للحياه!
كم ردّ موْتك عنك موتُ بنيك . إنك تقطعين
حبل الحياة لثمنقضيه وتضفري حبلاً سواه ،
حبلاً به تتعلّقين على الحياة تضاجعين
ولا ثمار سوى الدموع ، وتأكلين ،

وتسهرين ولا عيون ، وتصرخين ولا شفاه ،
وغدآ بجبلك تُشنقين !

وغدآ.. وأمس.. وألف أمس - كأنما مسح الزمان
حدودَ ما لك فيه من ماض وآت
ثم دار ، فلا حدود

ما بين ليلك والنهار، وليس، ثم، سوى الوجودِ
سوى الظلام ، ووطء أجساد الزبائن ، والنقودِ ،
ولا زمان ، سوى الأريكة والسرير ، ولا مكان !
لم تحسبين لياليَ السأم المسهدةَ الرتيبه
ما العمر؟ ما الأيام؟ عندك، ما الشهور؟ وما السنين؟
ماتت «رجاء» فلا رجاء. ثكلتِ زهرتك الحبيبه!
بالأمس كنت إذا حسبتِ فعُمرَها هي تحسبين.
ما زال من فمها الصغيرِ

دُراوة في حلمتيك ، وكركراتُ في السرير
كانت عزاءك في المصيبه ،
وربيع قفرتك الجديبه

كانت نقاءك في الفجور ، ونسمةً لك في الهجير ،
وخلصك الموعود ، والغبشَ الالهيةَ الكبير !
ما كان حكمةً أن تجيءَ إلى الوجود وأن تموت ؟
ألتشرب اللبن المرنق بالخطيئة واللعباب

أو شالَ ما تركته في ثديك أشداقُ الذئاب ؟
كان الزُّناة يضاعونك وهي تصرخ دون قوت .
فكأنها ، وهي البريئة ،
كانت تشاركك العذاب لكي تكفّر عن خطيئه !
أفترتضين لها مصيرك ؟

فاتركيها للتراب
في ظلمة اللحد الصغير تنام فيه بلا مأب
فالنور والأطفال والبسات حظ المترفين ،
والجوع والأدواء والتشريد حظ الكادحين
وأنت بنت الكادحين .

مات الضجيج. وأنتِ ، بعدُ ، على انتظارك للزناه ،
تتنصّتين ، فتسمعين
رنين أقفال الحديد يموت ، في سأم ، صداه :
الباب أوصد
ذاك ليل مرّ
فانتظري سواه .

حفار القبور

١

ضوء الأصيل يغيم ، كالحلم الكئيب ، على القبور ،
واه ، كما ابتسم اليتامى ، أو كما بهتت شموع
في غيب الذكري يوم ظلّهنّ على دموع
والمدرج النائي تهبّ عليه أسراب الطيور ،
كالعاصفات السود ، كالأشباح في بيتٍ قديم
برزت لتُرعّب ساكنيه

من غرفةٍ ظلماتٍ فيه .

وتشاءبَ الطلّلُ البعيد - يُحدّق الليل البهيم
من بابهِ الأعمى ومن شباكه الخربِ البليدِ
والجوُّ يملؤه النعيبُ

فتُرَدّدُ الصحراءُ ، في يأسٍ وإعوالٍ رتيب ،
أصداءَه المتلاشياتُ ،

والريح تذرّوهنّ ، في سأم ، على التلّ البعيدِ !
وكان . بعض الساحراتُ

مدّتْ أصابعها العِجافَ الشاحباتِ إلى السماءِ
تُومي إلى سِرْبٍ من الغربانِ تُلويه الرياحُ
في آخر الأُفقِ المضاءِ -

حتى تعالی ثم فاض على مراقبه الفِساح
فكانَ ديدانَ القبورِ
فارتُ لتلتهمَ الفضاءَ وتشربَ الضوءَ الغريقُ،
وكانما أزفَ النشورِ
فاستيقظَ الموتى عطاشى يلهثون على الطريقِ!
وتدفعُ السربُ الثقيلُ ،

يطفو ويرسب في الاصيل ،
لجباً يرتقّ بالظلام على القبور البالياتِ ،
وِظلاله السوداء تزحف ، كالليالي الموحشاتِ ،
بين الجنادل والصخور
وعلى القبور !

وتنفسُ الضوء الضئيلُ
بعد اختناقٍ بالطيوفِ الراءباتِ وبالجُثامِ ،
ثم ارتخت تلك الظلال السود وانجابَ الظلام :
فانجابَ عن ظلٍ طویلُ
يلقيه حفارُ القبورِ
كفانِ جامدتان ، أبرد من جباه الحاملين ،

وكانَّ حولهما هواءً كان في بعض اللحودِ
في مُقلةِ جوفاءِ خاويةٍ مهوم في ركودِ
كفّاب قاسيتان جائعتان كالذئب السجينُ ،
وفمٌ كشقٍّ في جدارِ

مُستوحدٍ بين الصخور الصم من أنقاض دارِ
عند المساء ومقلتان تحدّقان ، بلا بريقِ
وبلا دموعٍ ، في الفضاء -

« هُوَذَا المساء »

يدنو ، وأشباح النجوم تسكاد تبدو ، والطريق
خالٍ - فلا نعشٌ يلوح على مدهاء .. ولا عويلٌ -
إلاّ النعيب

وتنهّدَ الريح الطويل !

وعلامٌ تنعب هذه الغربان ، والكون الرحيب
باقٍ يدور يعبجُّ بالأحياء مرضى ، جائعين
بيضَ الشعور كأعظمُ الأموات - لكن خالدين
لا يهلكون ؟ علامَ تنعب ؟ إنَّ عزرائيلَ مات !
وغداً أموتُ ، غداً أموت !

وهزَّ حفارُ القبور

يُمناه في وجه السماء ، وصاحَ « ربُّ ! أما تثور
فتبيدَ نسلَ العار .. تحرقَ ، بالرجوم المهلكاتُ ،



أحفادَ عادٍ ، باعةَ الدمِ والخطايا والدموعِ ؟
يا ربَّ ما دامَ الفناءُ
هو غايةُ الأحياءِ ، فأمرِ يهلكوا هذا المساءَ !
سأمتُ من ظمياً وجوعِ
إن لم يمِتْ - هذا المساءَ الى غدٍ - بعضُ الانامِ ؛
فابعثْ به قبلَ الظلامِ !
يا ربَّ أسبوعُ طويلٍ مرَّ كالعامِ الطويلِ ،
والقبرُ خاوٍ ، يفغرُ الفمُ في انتظارٍ .. في انتظارٍ ،
ما زلتُ أحفره ويظمره الغبارُ -
تتشاءبُ الظلماءُ فيه ويرشُحُ القاعُ البليلُ
مما تعصَّرَ أعينُ الموتى وتنضحهُ الجلودُ
تلكَ الجلودُ الشاحباتُ وذلكَ اللحمُ النثيرُ !
حتى الشفاهُ يمصُّ من دمها الثرى - حتى النهودُ
تذوي ، ويقطرُ ، في ارتخاءٍ من مرضعها ، المغيرُ !
واهاً لهاتيكِ النواهدُ ، والمآقي ، والشفاهُ !
واهاً لأجسادِ الحسانِ ! أياً كلَّ الليلِ الرهيبِ
والدودُ ، منها ، ما تمناهُ الهوى ؟ واخيبتاهُ !
كم جثةٍ بيضاءٍ لم تفتضَّ شفتها حبيبٍ ،
أمسى يضاجمها الرغامُ ؟

(١) اللبن المزوج دماً

هل كان عدلاً أن أحن الى السراب ، ولا أنالُ
إلاّ الحنين - وألف أنثى تحت أقدامي تنام ؟
أفكلّمّا اتّقدت رغابٌ في الجوانح شحّ مالُ ؟
مازلت أسمع بالحروب - فأين أين هي الحروب ؟
أين السنابك والقذائف والضحايا في الدروب
لأظللّ أدفنها وأدفنها فلا تسع الصحارى
فأدسُّ في قمم التلالِ عظامهنّ وفي الكهوفِ ؟
فكان قعقعةَ المنازل في اللظى نقر الدّفوفِ -
أو وقع أقدام العذارى
يرقصن حولي لاعباتٍ بالصنوج وبالسيوف !
نُبئتُ عن حربٍ تدور - لعلّ عزرائيل فيها ..
في الليل يكدح والنهار ، فلنُ ير على قرانا
أو بالمدينة وهي توشك أن تضيق بساكنيها !
نبتت أن القاصفاتِ هناك ما تركتُ مكاناً
إلاّ وحلّ به الدمار فأبيّ سوقٍ للقبور !
حتى كأن الأرض من ذهبٍ يُضحك حافريها ،
حتى كأن معاصر الدم دافقاتٌ بالحمور !
أوأه لو أنيّ هناك أسدُّ ، باللحم النثير ،
جوعَ القبور وجوعَ نفسي .. في بلادٍ ليس فيها
إلاّ أراملَ ... أو عذارى غاب عنهنّ الرجالُ

وافترضنَّ الفاتحونَ الى الذماء - كما يُقال !
ما زلت أسمع بالحروب فما لأعين موقديها
لا تستقرُّ على قرانا ؟ لبت عيني تلتقيها
وتخضُّهم الى القرار - وكالنيازك والرُّعودِ
تهوي بهمَّ على النخيل، على الرجال ؛ على المهودِ !
حتى تحدِّقُ أعين الموتى ، كآلاف اللآلي ،
من كل شبرٍ في المدينةِ ثم تنظم كالعقودِ
في هذه الارض الخراب - فيا لأعينها ويا لي !
رباه ! إني أقشعر أكاد أسمع في الخيالِ
أغنيَّةً تصف العيونُ

تنثال من مقهى، فأنصت في الزحام، وينصتون !
وكانَّ ما بيني وبين الآخرين من الهواء
ثديُّ سخبيُّ بالحليب وبالمحبة والأخاء
يا رب أسبوع يمرُّ ولست أسمع من غناءِ
إلاَّ النعيبُ
وتنهَّد الريح الرتيب !

واخيدتاه ! ألن أعيش بغير موت الآخرين ؟
والطيبات من الرغيف ، الى النساء، الى البنين
هي منَّة الموتى عليَّ فكيف أفق بالأنام ؟
فلتمطرنَّهمُ القذائف بالحديد وبالضرام ،

وبما تشاء من انتقام
من حمياتٍ أو جذامٍ !
نذرٌ عليّ لئن تشبَّ لآزرعنَّ من الورودِ
ألفاً تروى بالدماءِ وسوف أرصف بالنقودِ
هذا المزار... وسوف أركض في الهجير بلا حذاء
وأعدّ أحذية الجنود

وأخطُّ ، في وحل الرصيف وقد تلمطخ بالدماءِ ،
أعدادهنَّ لأستبيح عدادهنَّ من النهودِ !
وسأدفن الطفلَ الرميَّ وأطرح الأمَّ الحزينه
بين الصخور على ثراه

ولسوف أغرز بين ثدييها أصابعي اللعينة
ويكاد يخنقها لهائي وهي تسمع ، في لظاه ،
قلي ووسومةَ النقودِ تقودها ! واخجلتاه !
أنا لست أحقر من سواي . وإن قسوت فلي شفيح
أني كوحشٍ في الفلاء

لم أقرأ الكتبَ الضخام - وشافعي ظمأ وجوع .
أو ما ترى المتحضرين

المزدهين من الحديد بما يطير وما يذيع ؟
مهها ادنات فلن أسفَّ كما أسفُّوا لي شفيح
أني نويت . ويفعلون ؛ وإنَّ من يئد البنين

والأمهات ويستحلّ دم الشيوخ العاجزين
لأحطُّ من زانٍ بما انتهك الغزاة وما استباحوا!
والقاتلون هم الجناة وليس حفار القمور،
وهم الذين يلوّنون لي البغايا بالخمر،
وهم الجماعة، والحرائق، والمذابح، والنواح،
وهم الذين ستركون أبي وعمته الضريه
بين الحرائب ينبشان ركامهن عن العظام،
أو يفحصان عن الجذور، ويلهثان من الاوام
والصخر كالقملِ الضريه

وسيوثقون بشعر أختي قبضتيّ وكاظلامِ
وكخضّة الحمى، تسمرها على دمها صدورُ
تعلو وتهبط باللهات، كأنهن رحي تدور
يا مجرمون، الى الوراء! فسوف تنتفض القبورُ
وتقيءُ موتها ويا موتى، على اسم الله ثوروا!
رباه، عفوك ان «قاييل» المكبّل بالحديد
في نفسي الظلماء هبّ وقرّ يعصره الملال!
فالليل جاء، وما أزال

مستوحداً أرعى القبور وأنفضُ الدربَ البعيد
وكان.. يا بشرى! كأنّ هناك في أقصى الجنوب
خطاً كأذيال الظلام ولمعةً كدمِ الغروب!

لكانه ضيفٌ جديد !»

وبدا الجنازُ، وراح يشهق وهو يدنو في ارتخاءُ
الأوجه المتحجّرات يضيئها الشفق الكئيبُ ،
والغمغمات الخافتات من انفعالٍ أو رياءُ ،
والنعشُ يحجبه غطاءُ

ألوانه المترنّحات كأننا اعتصر المغيبُ
فيها قواهُ ، وذاب فيها كوكب واهي الضياءُ
حتى اذا انهل الترابُ وصُفّحَ القبر الجديدُ ،
وتراعى الالقُ الضئيلُ ، على الظهور المتعباتِ
حتى اضمحلَّ ، وغيبتها ظلمةُ الافق البعيدُ -
كانت مصايح السماء تذرُّ ضوءاً كالضبابُ
بين القبور الموحشاتِ

وعلى الخرائب والرمال وكان حفار القبورِ
متعثر الخطوات يأخذ دربه تحت الظلامُ
يرعى مصايح المدينة وهي تخفق في اكتئابُ ،
ويظل يحلم بالنساء العاريات وبالخمرِ ،
وتحسستُ يده النقودَ وهيئاً الفم لابتسامٍ -
حتى تلاشى في الظلام !

أَلنور ينضح من نوافذِ حانةٍ عبر الطريقِ ،
 وتكاد رائحةُ الخمرِ
 تلقي ، على الضوء المشبعِ بالدخان وبالفتور ،
 ظلًّا كألوانِ حيارىِ واهياتٍ من حريقِ
 ناءٍ... تهوم ، في الدجى الضافي ، على وجهِ حزينٍ
 وتلوح أشباحُ عجافُ
 خلف الزجاجِ تهيم في الضوء السرايِّ الغريقِ .
 ويشدُّ حفارُ القبور على الزجاجِ باليمين ،
 وكن يحاذر أو يخافُ -
 يرنو إلى الدرب المنقَط بالمصاييح الضئالِ ،
 وتحركتُ شفته في بطنٍ وغمغم في الخذالِ -
 «أظننت أنك سوف تقتحم المدينة كالغزاه
 كالفاتحين وتشتريها بالذي ملكت يداك
 بأقلِّ من ثمن الطلاء القرمزيِّ على شفاه
 أو في أطافر لاحتقها ، ذات يومٍ ، مقلتاك ؟
 سأعودُ ، لا نهْدُ تعصُّره يدي حتى الدهولُ ،
 حتى التأوُّه ، والأنين ، وصرخةِ الدمِ في العروقِ
 والسكرَةِ العمياءِ .. والخذر المضعع .. والأفول !

والاذرع المتفتّراتُ - يلوّن الضوء الخفوقُ
هزاتها المستسلمات ، وينفحُ الدم والعبيرُ
ظلُّهنَّ على السرير

الاذرع المتفتّراتُ ، وزهرتان على الوسادُ
نسجتها كفُّ مخضبة الاظافر - زهرتان -
تفتتحان على الوسادة كالشفاه ، وتهمسان -
نغمًا يذوب الى رقادُ

ونعومة الكتفين، والشعرُ المعطرُ، والشحوبُ،
وتألقُ الجيد الشهيبيّ ، ولفحةُ النفس البهيري
والنور منفلتًا من الأهداب تثقله الطيوبُ ،
قلقًا كمصباح السفينةِ راوحته صبا لعوبُ ،
وتخافقُ الأظلال في دعةٍ ، ووسوسةُ الحريرِ
والحلمتان أشدُّ فوقهما بصدري في اشتها -
حتى أحسهما بأضلاعي ، وأعتصر الدماء
باللحم والدم والحنايا ، منها - لا باليدين ،
حتى تغيبا فيه - في صدري - الى غير انتهاء ،
حتى تمصّا من دماي وتلفظاني ، في ارتخاء ،
فوق السرير

وتشرئبًا

ثمَّ نشوي جثتين ! «

دربٌ كَأَفْوَاهِ اللُّهُودِ -

لولا التماعات الكواكب ، وانعكاس من ضياءٍ
تلقينه نافذةً - ووقع خطى تهاوى في عيائِ
يُصْدي له الليلُ العميقُ ، وحارسٌ تعبٌ يُعودُ
وسنانٌ يحلم بالفراش وزوجيه تُذكي السراجُ
وتؤججُ التنور صامتةً وأخيلةُ اللهبِ
تُضفي عليها ما تشاءُ من اكتئابٍ وابتهاج
ثمَّ اضمحلَّ الحارس المكدود ، والنغم الرتيبُ
- وقع الخطى المتلاشيات.. كأنه الهمس المريب -

ما زال يخفق من بعيد
وتلملت قَدَمَانُ ، وارتفعت يدٌ بعد انتظارِ
وهوت على الباب العتيقِ ، فأرسل الخشبُ البليدُ
صوتاً كأيقاع المعاولِ حين إِدبارِ النهارِ
بين القبور الموحشات. وأطبق الصمتُ الثقيلُ ،
وأطلَّ من إحدى النوافذ، وهي تُفتتح في ارتيابٍ ،
وجهٌ حزينٌ ثم غاب !
وتحرك البابُ المضَعَّع وهو يُجهش بالعويلِ .
وتقول أنثى في اكتئاب

« ضيفٌ جديدٌ ! » ثم تفرك مقلتيها في فتور
ويظلُّ يزحف كالكُسوف - يحجب الألق الضئيلُ
عن وجهها - ظلُّ يقيدها بحفار القبور !

٤

في زهوة الشَّفَقِ الملوّنِ حيثُ يحترق النهارُ -
في عودة الرُّعْيَابِ أشباحاً يظلمها الغُبان -
في ساعة الشوق الكئيبِ الى شواطئ كالضبابِ ،
والى أكفٍ مُخْلِصَاتُ ،

والى أغانٍ مُبهتاتٍ هائماتٍ في شعابِ
أنأى من الأصداءِ تغشاها نُجومٌ ساهماتُ -
في ساعة الشَّفَقِ الملوّنِ كان إنسانٌ يثور
بين الجنادل والقبور ،
نفسٌ معذبةٌ تثور

بين الجنادل والقبور

«أأظُلُّ أحلم بالنُّعوشِ ، وأنفضُ الدرب البعيدُ
بالنظرة الشَّزراءِ ، واليأسُ المظللُّ بالرجاءُ
يطفو ويرسبُ ، والسماءُ كأنها صنمٌ بليدُ
لا مأملٌ في مقلتيه .. ولا شواظٌ ولا رثاءُ ؟
لو أنها انفجرتُ تُقهِمِهِ بالعود القاصفات !
لو أنها انكلمشتُ وصاحت كالذئاب العاويات

«فات الأوانُ، فخطَّ لحدك واثور فيه الى النشور!
لو أنها انطبقت عليّ كأنها فمُ أفعوان!
لو أنها اعتصرت قواي!

وماتَ ظلُّ الأرجوانِ
في آخر الأفق البعيد، ولآلات قطرات نورٍ
مما تبعثره المدينة وهي تبسمُ في فتور
وكانما رضعت مصاييح المدينة مقلته
فسرتُ لهيباً في دماهُ وألغمتها بالربابِ،
وكانهنَّ، على المدى المقرور، آلاف الشفاه
تدعوه ظمأى، لاهثاتٍ.. مثل أحداق الذئاب:—
«ما زلتِ تحترقين من فرحٍ، وأحترقُ انتظاراً،
صبي سناكِ على الترابِ

وعلى الكؤوس الفارغات: وبعثريه على كتابِ
أو بين أغطية الموائد وهي تنتظر النهارا
ظلتُ تُعابثها شفاه الريح، وانصرف السكارى!
راحوا إليها مسرعين— الى التي ارتعشت قواها
بين التوجع والذهول، على يدي وفي دمائي
ليلٌ وأعقبه الصباح ونبتاني مقلتها
أنا انتهينا

يا سماءُ، ويا قبور.. أما أراها؟

لا بُدَّ من هذا! - وصوب مقلتيه الى السماءِ
حنقاً يُزجر ، ثم أطرق وهو يحلم باللقاء
بابُ تفتّح في الظلام.. وضحكةٌ.. وشذى ثقيلٌ..
ويدانٍ تجتذبان أغطيةَ السرير وتُرخيانِ
إحدى الستائر

ثم تنطفئان في الضوء الضئيل !
وتغيم أخيلةٌ وتُجلى - ثم تبرز حلمتانِ
ويُطلَّ وجهُ شاحب القسَماتِ مُختلج الشفاه .
وتغيم أخيلةٌ وتُجلى - ثم تُفتح مقلتاها
فيرى القبور ،

ويرى المصاييح البعيدة كالجامر في اتقاد ،
ويرى الطريق الى القبور
يكتنظُّ بالأشباح زاحفةً إليه على اتّئادٍ ،
فيصيح من فرحٍ « سألقاها ، فإن على الطريق
نعشاً وإن حفَّ النساءُ به وأملقَ حاملوه !
إني سألقاها ! » - وينهض وهو يرفع باليمين
فانوسه الصدى العتيقُ
يلقي سناه على الوجوه

وعلى الدثار القرمزيّ وفي عيون القادمين
لو أنه اخترقَ الدثارَ بمقلتيه وبالضياء -

لو حدثَ التابوتُ عُمرنُ فيه .. أو رفعتُ يداها
« أو هبّةٌ للزعزعِ النكباءِ حاشيةَ الغطاءِ
تحتِ النجومِ الساهماتِ
لكاد ينكر من رآها !

ماتتُ كمنْ ماتوا ، وواراها كما وارى سواها
واسترجعتُ كفّاه من يدها المحطمةِ الدفينه
ما كان أعطاها - وإنْ حملت يدُ امرأَةٍ سواها
تلك النقودَ بل البقايا من نفاياتِ المدينة -

وتظل أنوار المدينة وهي تلمعُ من بعيدِ ،
ويظلُّ حفار القبور
ينأى عن القبر الجديدِ
متعثرَ الخطواتِ يحلم باللقاءِ ، وبالحنور !



الأسئلة والأطفال

١

عصافيرُ؟ أم صيبة ترحُّ

عليها سناً من غدٍ يلمح؟

وأقدامها الغارية

مجارٌ يصلصل في ساقيه

لأذيالهم زفةُ الشنأل

سبقتُ عبر حقلٍ من السنبُل ،

وهسهةُ الخبز في يوم عيد ،

وغغمةُ الأمِّ باسم الوليد

تناغية في يومه الأول

كأنِّي أسمع خفق القلوع

وتصخاب مجارة السندباد

رأى كزه الضخم بين الضلوع

فما اختار الآه كنزاً وعاد !

صدىً عابراً من وراء العصور
من الكهف، والغاب، والمعبد،
سرى دافئاً من عروق الصخور
وإزميل نحاتها المجهّد،
يغني بأشواقه العائنه
إلياً إلى القمة العالیه
إلى أن يقلّ الردى بالحيناه
وتلقاه أجيالها الآتیه
على صخرة حملتها يداه
تحايه في بسمه في الشفاه
وفي أعين حجرت مقلتهاه
عليها دموعها الجارية

صدىً رجعته الأكف الصغار
يصفقن في الشارع المشرق
كخفق الفراشات مرّ النهثار
عليها بقانوسه الأزرق

وكم من أب آيتني في المساء

الى الدار من سعيه الباكر ،
وقد زمّ من ناظريه الغناء
وغشّاهما بالدم الخائر ؛
تلقّاه ، في الباب ، طفلٌ شرود
يكركر بالضحكة الصافية ،
فتنهّلّ سمحاء ملء الوجود ،
وتزرع آفاقه الداجيه
نجوماً ، وتنسيه عبء القيود

وهمٌ في ليالي الشتاء الطوال
رييحٌ من الدفء والعافيه ،
تلمّ العجائزُ فيه الورود
ويلمحن عهد الصّبّ ثانيه ،
ويرقصن بين التلال
يرجحن أرجوحة في الخيال :
بعذراءَ في ليلةٍ مقمره
وفي ظلّ تفاحةٍ مُزهره
تنام العصافير فيها
وهم في الصباح
خطىً خافقاتٌ على السلم ،

وأيدٍ على أوجه النوم
يدغدغها في مزاح !
وأغنية من أغاني الطريق
بلحن سوى لحنها الأول
وشأوٍ من الصوت مستعجل
وهم رفقة الأمّ إذ تستفيق
وإذ تشعل النارَ في الموقد
كخيطٍ ترى فيه بدء الغد !

٢

عصافيرُ ؟ أم صبيةٌ ترحُ ؟
أم الماء من صخرة ينضح
فيخضلّ عشبٌ وتندى زهورُ ؟
زهورٌ ونور
وقبرةٌ تصدح
وتفاحةٌ مزهره
لحفق العصافير فيها
صدى قبلة الأمّ تلقى بنيتها
- « دعيني فما تلك بالقبره !
دعيني أقلّ إنيّه البلبسُ »

وإن الذي لاح ليس الصباح ،
أتلك السفين التي تُعول
على مرفأ ناوحتة الرياح ؟
تُلوح منها أكفُ الجنود
لألف كـ «جوليت» فوق الرصيف :
«وداعاً وداعَ الذي لا يعود !»
وأمم كما استوحشت في الخريف
وراء الدجى ، دوحة عاريه
وفرت عاصيرها الشاديه !

عصافير ؟ أم صبية ترح ؟
أم الماء من صخرة ينضح
ولكن على جثةٍ داميه ؟
وقبرةٍ تصدحُ
ولكن على خربةٍ باليه ؟
عصافير ؟ !

بل صبية ترح
وأعمارها في يد الطاغيه ؛
وأحانها الحلوة الصافيه

(١) شكبير : روميرو وجوليت .

تغلغل فيها نداءً بعيد

« حديد عتق ... سيق

رصاص ... ص

حديد ... ص

وكالظلّ من بأشقى في الفضاء

— اذا اجتاح ، كالمدينة الماضية ،

عصافير تشدو على راييه —

ترامى الى الصبيبة الأبرياء

نداءً تنشقّت فيه الدماء

« حديد عتيق

حديد عتيق !

رصاص ... ص » وحتى كان الهواء

رصاص ، وحتى كان الطريق

حديد عتيق

وينقّص ، كالمعول الخافر ،

صدق راعب من خطى التاجر

له الويل ماذا يريد ؟

« حديد عتيق

رصاص ... ص

« حديد !

لك الويل من تاجر أشام

ومن خائض في مسيل الدم

ومن جاهل أن ما يشتره
- لدرء الطوى والردي عن بنيه -
قبور يواروب فيها بنيه !
« حديد عتيق
رصاص... ص »

« حديد... »

حديد عتيق موت جديد !

٣

« حديد... ص »

لمن كل هذا الجديد !
لقيد سيلوى على معصم ،
ونصل على حلمة أو وريد ،
وقفل على الباب دون العبيد ،
وناعورة لاغتراف الدم
« رصاص... ص »

لمن كل هذا الرصاص ؟
لأطفال كورية البائسين ،
وعمال مرسيليا الجائعين ،
وأبناء بغداد والآخرين
إذا ما أرادوا الخلاص

حديد

رصاص

رصاص

رصاص !

(حديد...)

وأصغني الى التاجر ،
وأصغني الى الصبية الضاحكين ؛
وكانت قبل انتباه الطغين ،
وكالبرق ينفض في خاطري
ستار الجرح اذ ينزف -
أرى الفوهات التي تقصف
- تسدّ المدى - واللظى ، والدّماء .
وينهل كالغيث ، ملء الفضاء ،
رصاص ونار : ووجه السماء
عبوسٌ بلا اضطك فيه الحديد .
جديد ونار ، جديد ونار
وثمّ ارتطام ، وثمّ انفجار ،
ورعد قريب ، ورعد بعيد
وأشلاء قتلى ، وأنقاض دار !
حديد عتيق لغزير جديد

حديد ليندك هذا الجدار
بما خطّ في جانبه الصغار
وما استودعوا من أمان كبار
« سلام »

كأن السنا في الحروف
تخطى إليها ظلام الكهوف
بأماكن إنسانها الأول
وما اختطّ من صورة في الحجار
تحدّي بها الموت فهي انتصار
وتوقّ إلى العالم الأفضل ؟
« حديد »

رصاصا ... ص

حديد عتيق
رصاصا ... « ليخول هذا الطريق
من الضحكة الثرة الصافية
وخفق الخطى والهتاف الطروب :
فمن يملاّ الدار عند الغروب
بدفه الضحى واخضلال السهوب ؟
لظى الحقد في مقلة الطاغية
ورمضاء أنفاسه الباكية
يطوفات بالدار عند الغروب

وأطلالها الباليه !

« حديد عتيق »

نحاس عتيق ،

وأصداء صفارة للحريق !

٤

« حديد ، حديد ،

وأم تبيع السرير العتيق ،

تبيع الحديد الذي أمسر كان

مهاداً عليه التقى عاشقان

وشدَّ نداءُ الحياة العميق

ذراعاً باخرى ، فلما تخفقان !

فيا حسرتنا حين يمسي غداً

شظايا تدوي وبعض المدى

تنبحى بها عن ذراع ذراع

وينهدَّ مهدُّ ، ويخيو شعاع !

أمن حيث كان التقياء الشفاء

على الحب ينسجن خيط الحياة

بحوك الردى غزله الأسود

دماً أو دخاناً ؟ يحوك الودى
شباكاً من النار حول البيوت
على صبيةٍ أو صبايا تموت ؟
ويرثد حتى حديد السرير
جناحاً عليه المنايا تغير ،
وحق الذي في عيون الدُمى
من المعدن الزئبقي الحسير
رصاصاً أبحّ الصدى مُرْزِماً

٥

« حديد ، عتيق ، حديد ، حديد »
وأقدامها العاربه
نحارٌ يصلصل في ساقيه ؛
وتعتاد بالي - كرعدي بعيد -
ضجيج الخطى وانهار الصخور
وحقق القوانيس في المنجم ؛
وما نضّ من عاريات الظهور
وميا انسحّ في سجلة من دم !
وملء السنه من غبار الحديد ،
نواقيس فيها يرنّ السكون . . .

وأجراسُ مركبةٍ من بعيد
يخفُّ لها صبيةٌ يلعبون :
نواقيسٍ في القجر ، واليومُ عيدُ ،
وفي الماء أطلال جسرٍ جديد ،
وهمس النواعير ، والزارعون ،
وفي كل حقلٍ - كنبض الحياة -
تهزُّ المحاريثُ قلبَ الثرى
وتبني القرى .

قرىٌ طينها من رميم الطغاه
وتخضلُّ حتى الصخور الضئيلة ،
ويثمر حتى سُرَاب الفلاة
مدنيته

فاخرى ، فاخرى ، الى منتهاه !

« حديد حديد ! »

وأقدامها العارية ،
وخفق الفوائس في المنجم ،
وأعماقه الرطبة الدنجية
كظلِّ الردى - فاعترت الفم ،
كبئرٍ من الظلمة الطامية

ستمّاح منها أوفُ القبور ،
ويهوي . - مع الزعزع العاتيه -

عمى من دجاها على كل نور
على النور من باب كوخٍ مضاء
ومن كوةٍ في خيام الرعاء
ومن شرفةٍ ظلّها الياسمين
- « دعيني أقلّ انه الليلُ
وان الذي لاح ليس الصباح » -

على النور من موقد السامرين
ومن مدرجٍ بالسنا يغسل ؛
على كل نور ، تذرّ الرياح
ظلال الطواغيت في المنجم

كناورةٍ لاغتراف الدم
تذرّ الرياح ، الرياح ، الرياح
أراجيحَ في الملعب المظلم
وخفقَ الفوانيس والأنجم
وخفق الخطى والأكفّ الصغار
وخفق الفراشات مرّ النهار
عليها بفانوسه المعتم
فمن يملا الدارَ عند الغروب

بدفء الضحى واخضلال السهوب؟
رصاص ، حديد ، رصاص ، حديد
وأهاتُ ثكلى ، وطفلٌ شريد !

ومن يفهم الأرض أن الصغار
يضيقون بالحفرة الباردة ؟
إذا استزلوها وشطّ المزار
فمن يتبع الغنمة الشارده ؟
ويلهو بلقط الحمار ؟
ويعدو على ضفّة الجدول ؟
ويسطو على العش والبلبل ؟
ومن يتهجّى - طوال النهار -
ومن يلثغ الرء ، في المكتب ؟
ومن يرتمي فوق صدر الأب
إذا عاد من كده المتعب ؟
ومن يؤنس الأمّ في كل دار ؟
أسى موجه أن يموت الصغار
أسى ذقتُ منه الدموع ، الدموع

(١) ايديت سيتويل في قصيدتها أم ترثي طفلها : « ان الارض عجوز
شاخت حتى لا تعلم بأن الصغار حركون كظلال الربيع . »

أجاجاً ومثل اللظى في الفم ،
وأحسستُ فيه اشتعال الدم
بعينيَّ ، من نازفات الضلوع
عويل من القرية النائبة
وشيخ ينادي فتاهُ الغريق
بهذا الطريق وذاك الطريق ،
ويسعى إلى الضفة الخالية
يسائل عنه المياه

ويصرخ بالنهر .. يدعو فتاه ؛
ومصباحه الشاحب
يغني سدىً زيتته الناضب
« محال تراه ! »

ويجنور على الصفحة القائمة
يحدق في لهفة عارمه
فما صادفت مقلته

سوى وجهه المكفهر الحزين
ترجرجه رعشة في المياه
تغمغم « لا ، لن تراه ! »

٦

« جديد حقيق » ورعب جديد !

« حديد »

رصاصا ... ص »

لأن الطغاه
يريدون ألاّ تمّ الحياه
مداها وألاّ يحسّ العبيد
بأنّ الرغيف الذي يأكلون
أمرٌ من العلقمـ
وأنّ الشراب الذي يشربون
أجاجٌ بطعم الدم
وأنّ الحياه الحياه انعتاق ،
وأن ينكروا ما تراه العيون
فلا بيدرُ في سهول العراق ،
ولا صبية في الضحى يلعبون ،
ولا همس طاحونه من بعيد ،
ولا يطرق الباب ساعي البريد
ببُشرى ، ولا منزلُ
يضيء الدجى منه نورٌ وحيد
سخيٌّ كما استضحك الجدول ،
ولا هدهدات ، ولا جلجل
يرنّ بساق الوليد
وبين الربى في رقاب الجداء ،

ولا وسوس الشاي فوق الصّلاء ،
ولا قصة في ليالي الشتاء
لأن الطواغيت لا يسمعون
صداح العصافير في المغرب
- كما صلصل الفضة القامرون -
ولا زقة السنبل المذهب
لأن الطواغيت لا يملحون
بغير انبيعات والأسهم
وان الطواغيت لا يسمعون
سوى رنة الفلس والدرهم
لان الطواغيت لا يبصرون
على الشاطيء الأسيوي البعيد
سوى أن سوقاً يباع الحديد
وتستهلك الريح والنار فيها
تدرّ العطايا على فاتحها

٧

بأقدام أطفالنا العازية
ميناً ، وبالخبز والعافية
إذا لم نعفره جباه الطغاه

على هذه الأرجل الحافية
وأن لم نذوّب رصاص الغزاه
حروفاً هي الانجم الهادية
(فممنهّنّ في كل دارٍ كتاب
ينادي قفي واصدأي يا حراب)
وان لم نضوّ القرى الداجيه
ولم نخرس الفوهات الغضاب
ونجل المغيرين عن آسيه
فلا ذكرتنا بغير السباب
أو اللعن أجيالنا الآتية !

سلام على العالم الارحب ،
على الحقل ، والدار ، والمكتب ،
على معملٍ للدمى والنسيج ،
على العشّ والطائر الازغب ،
على التوت وسانّ فيه الاريح
ووقع المجاديف في المغرب ،
على زهرةٍ في وساد العروس ،
على صبية في انتظار الاب ،
على شاعر تستحمّ الشموس

بعينه ، يصغي الى جندب ؛
سلام على العالم الارحب
سلام على (الكنج) فاض النعيم
ورنت أغاريد ، في ضفتيه
قرى من سنا عاصرات عليه
عناقيد من ضوءن العظيم
سلام على الصين والحاصدين
وصياد أسماكها الاسمر ،
وما أنبتت من دم الثائرين
وما افترت في البيرق الاحمر ؛
على صبية في قراها البعاد
وفي ظلّ تفاحها الزهر
وما جررت في ليالي الحصاد
ثياب العذارى على البيدر
سلام لأن الربيع
يمرّ بودياننا كل عام ،
وما زال قوس الغمام
ولولا الذي كدّسوا من نضار
به يستضيئون دون النهار
تجوع الملايين عن جانبيه

وينحطّ ، في كل يوم ، عليه
دمٌ من عروق الورى أو نُشار
كذرتّ الغبار-

لما هزّت الامّهات المهود
على هوة من ظلام اللحدود ،
ولم تذرف الدمع عبر البحار
وعبر الصحارى ، نساء الجنود ،
ولم يرفع الزراع الاشيب
الى مقلتيه ، اليد الراجفه
يحدّق في عتمة العاصفه
ويصغي وفي روعه « القاصفه » ،
ولم يبكِ صرعى بنيه الاب
جزوعاً بان يشكل الآخرين ،
ولا شرّدت نومةَ العاشقين
كوابيسُ من أعين الهالكين
وإرئان صفّارة تنعب
«وغى...» ، فاستفاقوا ولا كوكب
ولا لمعة من سراج تبين
سوى قعقعات السلاح
وعصف الرياح ،

ولا ساءل الأم طفل غرير
 « ألا بلدة ليس فيها سماء ؟ »
 فلا قاذفات المنايا تغير
 ولا من شظايا تسد الفضاء -
 ولا اختضّ في الصرصر اللاجئون
 ولألاء « يافسا » تراه العيون
 وقد حال من دونه الغاصبون
 بما أشرعوا من عطاش الحراب
 وما استأجروا من شهود كذاب
 وما صفّحوا بالردى من حصون .
 سلامٌ على العالم الارحب
 على مشرق منه أو مغرب
 سلامٌ لآفون^١ روى عروق
 شكسبير والزهر والداليه
 أفقٌ شاعر النور ، ان الشروق
 تهدده غيمة داجيه ،
 سعى « مكبث^٢ » تحتها في احتراس
 لقتل النعاس

(١) آفون نهر في بريطانيا ، يمر بقرية شكسبير

(٢) مكبث بطل احدى مسرحيات شكسبير وقد قتل دنكان وهو نائب
 في ضيافته مطمئن اليه : « لقد قتل مكبث النعاس ، النعاس البريء » شكسبير .

لقتل النعاس البريء
سلام لباريس « روبسيير »^١
و « إوار » والغابة الحالمه
وعشاقها في المساء الاخير
تذريهم قوة ظالمه
كدوامه من رياح السعير
على « تونس » من لظاها ظلال
وحول « الرباط »^٢ المدمى هدير
وفي جيرة الصين حلّ الخذال
بقطعانها الفضة الضارية
لك المجد يا آسيه !
سلام لفينيس^٣ والكرنفال
وأضوائه الثرة الزاهيه ،
وهمس الحبين بين الظلال
وفي دفء قرائه الضاحية

٨

عصافير ؟ أم صبية تمرح ؟

(١) روبسيير : بطل الثورة الفرنسية والوار الشاعر الفرنسي الحر
العظيم

(٢) الرباط مدينة في مراكش .

(٣) فينيس : مدينة البندقية بايطاليا

أم الماء من صخرة ينضح ؟
وأقدامها العاربه
مصاييح ملء الدجى تلمح ،
هتكننا بها مكمن الطاغيه
وظلماء أوجاره الباليه
علينا لها انها الباقيه
وأنّ الدواليب في كل عيد
سترقى بها الريح... جذلي، تدور!
ونرقى بها من ظلام العصور
الى عالم كل ما فيه نور

(رصاص، رصاص، رصاص، حديد
حديد عتيق)

لكونٍ جديد !



فهرس

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة الناشر
٩	غريبٌ على الخليج
١٥	مرحى غيلان
١٩	أغنية في شهر آب
٢٣	غارسيا لوركا
٢٥	تعنيم
٢٧	الخبز
٣١	عرسٌ في القرية
٣٥	مرثية الآلهة
٣٩	من رؤيا فوكاي
٥٠	قافة الضياع
٥٩	يوم الطفافة الأخير
٦٤	إلى جميلة بو حيرد
٧١	رسالة من مقبرة
٧٥	في المغرب العربي
٨٢	مرثية جيكور
٨٨	تموز جيكور
٩٣	جيكور والمدينة

<u>الصفحة</u>	<u>القصيدة</u>
٩٨	العودة لبيكور
١٠٥	رؤيا في عام ١٩٥٦
١١٦	قارئء الدّم
١٢٠	ثعلب الموت
١٢٢	المبغى
١٢٥	النهرُ والموت
١٢٨	المشيخُ بعدَ الصّلبِ
١٣٣	مدينة السّندباد
١٤٢	أنشودة المَطَرِ ✓
١٥١	سريروس في بابل
١٥٥	مدينة بلا قطر
١٦٠	بورِ سَعِيد
١٧٣	المومِسُ العمياء
٢٠٢	حفير القبور
٢٢٠	الأيلحة والأطفال





قريباً

ستصدر جميع الأعمال الشعرية

للشاعر العبقري

بدر شاكر السياب

في مجلد واحد

مطابع قذمويس الجديدة

فرن الشباك - شارع المنتزه

تلفون ٢٨٦٢١٦



ديوان للشاعر الذي عاش في الوهج من كرشى ، فأحرقته
الحياة بلهيمها وهو يناضل من أجل هذا الجيل العربي ..
الشاعر الذي كانت حياته القصيرة حافلة بالحن والمحطوب
والانفعالات التي فجرت عمق بيته الشابة بشعر
أصيل رفعه إلى مرتبة الشعراء الذين ارتقوا بشعرهم
إلى مصاف النقاء ..

بدر بآكر السحاب - الإنسان - التسريع التآثر - المرهف
الاجتاس العميق الانفعال بكل ما يراه أو يجري من
حوله .. يتحسس الأمر نفسه و الأمر الفقراء الضعفاء
و الكادحين للمعذبين فينشد أناسيد الأمل ، أمل
الخلاص من الاستعمار والاستغلال والظلم
والاستبداد .. مقارعا الطغاة ، حاثا الشعب
على الكفاح والنضال .. إلى أن يتحقق أمته
أمل الشعب في الحياة الحرة الكريمة ، في ثورة
العراق ، .. تجيء كما يجيء الغيث نروي
العطشى .. فينشد أنشودة الحياة
الجديدة الخيرة : أنشودة المطر ..

(الناشر)